

روايات أحلام



حب بلا حدود



www.elromancia.com

ماري مورري



لوسى وبرناد شريكان فى دار للأزياء تفتتح لوسي عليه السفر معها إلى جزر الأنطيليس لزيارة جدها المريض وللتحقق من صحة أقوال والدتها بأنه تعرض إلى محظى يسابه ملكاته وعندما تذهب تقابل بيدرو دي سانتانا الذى كانت تربطهم علاقة منذ خمس سنوات وتملكها شعور بأنها خطت أولى الخطوات نحو الهرمة ويحاول أن يجذبها إليه مستخدما كل الوسائل فهل ينجح في ذلك وهل تملك لوسي التحمل الكافى كى لا تدورط ثانية مع الرجل الذى ألمها ثم هجرها أم أن ظروف اللقاء الجديدة ستجعلها تفكك جدية أكثر وماذا ينتظرها من مفاجأت!



5 204760 000392

كتابات
روايات
قصص
أدب عالمي
أدب إنجليزى
أدب فرنسي
أدب إسبانى
أدب إيطالى
أدب ألمانى
أدب روسى
أدب عربى

روايات
قصص
أدب عالمي
أدب إنجليزى
أدب فرنسي
أدب إسبانى
أدب إيطالى
أدب ألمانى
أدب روسى
أدب عربى

لقاء غير متوقع

دخلت لوسي دار الأزياء ونظرت مفكرة إلى برنارد تروتل، تتساءل كيف ستخرج من المأزق الذي هي فيه. ونظر إليها ثم أدار ظهره إلى زبونة مهمة، سائحة على وشك شراء آخر تصميمات لوسي.

برنارد هو شريكها، وصديقتها، وزميل فنان. ويديرا دار الأزياء معاً، وعلى الرغم من إنه أكبر منها سنًا فقد كانت شريكة كاملة معه. فكثير سنّه لم يكن يجعله أذكي منها، فله أطباع فنان غير مستقر، تتفجر في أوقات شاذة... وتوقعت منه الانفجار عندما ستخبره حول مهمة الرحمة التي ستضطر للقيام بها.

وبوجود عرض قادم خلال شهرين، ولأنه جاهز تقريباً، فإن عليها أن تبقى هنا لتعمل.. فالثياب لا تصمم نفسها..

إنه جديد.. أعطنى يومين وسأطلقه بالدهان... والآن وقد انتهى وقت الأطراء، فلتتحدث بالأمور المهمة. لقد تأخرت خمساً وعشرين دقيقة. واضطررت للنزول إلى هنا دون أن أغسل وجهي حتى. وهذه الزيونة التي خرجت كانت ستذهب عندما وجدت الدار مغلقة... حتى أتنى اضطررت لجرها إلى الداخل تقريباً.

صحيح إنه أكثر شخص غير مرتب، وشعره البني يصل إلى كتفيه وأرباط على رأسه وكأنه ثابت. إلا أنه من ألم الفنانين، وبارع في عمله على الرغم من مظهره البوهيمي. وصاح بها:

توقف عن النظر إلى قميصي، ولا تفكري أبداً بالقول لي أن أكونه ولسمع أذارك، لقد اتفقنا أن أنام أنا حتى العاشرة، وأنت تفتحين الدار باكراً. وها أنت تتراجعين.

لدي مشكلة..

ولكنه قاطعها ملوباً بذراعه النحيلة:

أعلم كل شيء عن أمك، وبينما أعرف أنها تعيقك بإعاقتها، فعليك أن تكوني قد اعتدت عليها... فلأنـ

ولكن ليس هناك من بديل آخر أمامها. عليها أن تذهب إلى جزر الأنطيليس.. إلى جدها. ولكن برنارد لا شك سيقتلها لهذا.

وأدهشها أن تراه يلقى بفنته.. وجهه الرقيق مفعم بالحيوية. وهو يلف الفستان ليضعه في علبة بيديه الفنيتين الطويلتين، بأمكانه أن يكون جذاباً جداً عندما يهتم بنفسه، وأحياناً كانت تهتز حول مظهره.

شعره الطويل غير مرتب، ورباط حول رأسه يظهره ما بين الهندي الأحمر والرجل المتواحش.. قميصه ملطخ بالألوان، مع الجينز الجديد. ليس فيه سوى خطوط سوداء برفع حد السكين. وبما أن النهار دافئ لم يكن يرتدي إحدى (كنزاته) وهذا أمر جيد لأن معظمها يحتوى على ثقوب عند المرفق.

بعد خروج الزيونة قالت له لوسى مطربة:
تبدرأها بشكل خاص هذا الصباح. فهذا الجينز يناسبك.

فاستدار إليها بعينين مهددتين:

قهوة وتشرحي لى ما حصل.

وتطوعت لوسي لصنع القهوة على الفور، فهى لا تريده
أن يخفقها بفرشاة رسم.. وقالت شارحة وهى فى المطبخ
الصغير التابع للدار:

لقد تلقت أمى رسالة اليوم. لقد التقط جدى نوعا من
المicroب وترىدىنى أن أذهب لأراه.

هذا لأنها لا تستطيع الحركة بنفسها.
اوه برنارد!.. أنت تعرف أمى.. ولكننى رفضت الذهاب،
ولكن بعد حديثى على الهاتف مع جدى غيرت رأىي..
أظنه مريض حقا، وهو فى السبعين.

والتوت شفتاه بخشونة وهو ينظر إلها:

لك قلب مرهف يا لوسي، أليس كذلك؟ قلبك لا يزال
رقيقا كما لو أنك لا زلت فى التاسعة عشر. والآن
تدعينى أشعر بالقدارة لأننى فكرت بالدار وبالعرض
القادم.. ولكننى أعرفك، فمتى صممتم، فلن يمنعك شىء...
فاذبهى بحفظ الله.

تعيشين معها منذ أربع وعشرين سنة... وكان يجب أن
تروضيها.. فاخرجى بعذر أفضل.

وبدا لها أن إطلاق القنبلة الآن مناسب، فنظرت إليه وقالت:
أنا مسافرة إلى (كاراكو).

وضاقت عينا برنارد، ولكنها أمسكت بأعصابها.

(كاراكو) هي جزيرة فى الكاريبي.. ولا يمكنك الذهاب
إلى هناك لقضاء إجازة ساعة! ولقد اتفقنا أنتا بحاجة
إلى تنفيذ ثلاثة تصاميم على الأقل للمعرض. لذلك فكرة
(كاراكو) مرفوضة.

ولكن لوسي تمسكت بالموضوع.. فالسفر إلى كاراكو
ليس أمرا تستطيع أن تنساه.

لا يمكن أن أترك الموضوع يا برنارد، جدى مريض،
لقد تحدثت معه على الهاتف ولم أفهم أو أسمع ما يقول..
وأعرف أنه مريض..

وحق بها بقساوة للحظة.
الأفضل أن تكون روایتك صحيحة.. سأصنع فنجانى

تعال معى..

لقد قلت إذهبي مع حفظ الله، ولم أكن أفكر بنفسي...
فواحد منا يجب أن يعمل.. ومن الواضح أنتي أنا من
سأعمل.

بإمكاننا أن نعمل هناك.. إنه مكان جميل وهادئ
ويمكّننا تنفيذ أجمل التصاميم لنعيدها معنا إلى هنا.

وبدا مصدوماً.. ولكنها استطاعت رؤية بريق الاهتمام
في عينيه، قليل من الأقناع وسيستسلم.. ولكنه قال:

وتنسى أننا نملك دار أزياء؟
لقد فكرت بهذا.. سنضع يافطة أن الدار مقفل
للتصليحات وتغيير الديكور. ويمكن استخدام نفس
اليافطة للدعایة للمعرض.. وهذا سيجذب الاهتمام.

أو سيجلب خسارة، ويمكن أن يؤدي هذا إلى إفلاستنا.
ونظر إلى تعبيرات وجهها المتوردة، فضحك:

لوسي.. أنت دائمًا هكذا.. مستحيلة. حسن جدا.. لقد
 Ribحت موافقتي.. ولكن قبل وجهي بنعومة.

فأجابته بمرح:

عندما تغسله. وأنت بحاجة لبذلة تأخذها معك.

فقال ساخرا:

أظنني أنتي أملك بذلة؟ في خزانتي يوجد بعض
الملابس النظيفة.
ضعها في الحقيبة.

وضحك بعد أن أقفل الباب وراءه واتجه إلى شقته
في الجهة المقابلة من الشارع. وماتت الأبتسame على
وجهها.. وأحسست بالذنب. فالواقع أنها لم تخبره الحقيقة
ال الكاملة، بل جزء منها. فهناك أكثر من مرض جدها
وصحته. فلو أن شكوك أمها كانت صحيحة، فهناك من
سلب جدها أمواله.

الرسالة التي وصلتاليوم جلبت التوتر إلى وجهها
هي أيضاً بعد أن قرأتها. فجدها سببـع مرکبـه وأرضـه
اللذان يملـكونـهما منـذ سنـين طـولـية، وربـما الـكـثيرـ منـ
ممتـلكـاتهـ أـيـضاـ، فـهـنـاكـ صـدـيقـ لهـ يـنـصـحـهـ بـذـلـكـ. وـنـظـرـتـ
أـمـيلـيـ ماـكـدوـنـالـدـ لـتـلـقـىـ بـعـيـنـيـ لوـسـيـ القـلـقـتـينـ. وـقـالـتـ:

وتنشقت لوى الهواء المألف لديها. دافى ولذيد،
والإبتسامة تتسع على وجهها.

نظرة أولى على وجه جدها أكدت لها إنه فعلاً مريض.
وحسب قال كان هذا مجرد هجوم لنوع من القيروس..
ولكن وجهه كان شاحباً ومن الواضح إنه لم يشف تماماً بعد.

وكان توماس براونننغ، والد أمها، مهندس، بحرية
قديم، وعندما زاراهما آخر مرة لم يكن يظهر عليه أثر
للمرض. وكان يومها تواقاً للعودة إلى جزيرته الصغيرة
التي أصبحت موطنه منذ ثلاثين سنة. ولكنه الآن مريض
ويبدو عليه الكبر في السن. وفكرة أن يستغله أحد في
هذا السن جعلها تجن غضباً.

وسرعان ما انتشر الخبر بأن حفيدة توماس براونننغ
في الجزيرة وتذكرها العديد من السكان. فالسنوات زادت
من أهمية جدها في جزر الأنتيليس، وعلى هذه الجزيرة
الرائعة كان السكان يحبونه جداً.

المشكلة كانت كيف ستبدأ تحقيقاتها. فاستجوابات
مبطنة من جدها لم تصلها إلا إلى ردود مبهمة. فهو لا

لابد أنه محظى نزل من الجزيرة.

وبعد حديثها مع جدها، وسماعها لقلقاً في صوته لم
تسمعه من قبل، قررت أن تسافر إلى كاراكو وتلقى
القبض على ذلك المحظى بالجريمة المشهود.

ولكنها بحاجة إلى غطاء.. وبرنارد رائع. فلن يهتم أحد
بفنان ومصممة أزياء. وخاصة إذا كان بمثابة منظر
برنارد. وعليها أن تقوم ببعض التحقيقات، وإذا لاحظ ذلك
المحظى شيئاً، فسيحيط بها. وهناك شيء بارز حول برنارد
لا مجال للشك فيه! من السهولة ملاحظة مظهره غريب.
وستكون هي مختيبة في الصفوف الخلفية إذا كان معها.

ومع أنها لم تزر جدها منذ أكثر من خمس سنوات،
إلا أنها تعرف الجزيرة شبراً شبراً، ولا يمكن أن تتغير.
وجدها الآن بحاجة لها كما كان دائمًا.. وإذا ظن أحدهم
أن بإمكانه العبث به فهو مخطئ!

بعد أسبوع، كانت السفينة تدخل مينا ويلمستاد
عاصمة جزر الأنتيليس.. ولوسى وبرنارد على سطحها
يتفرجان على صفوف المباني الملونة على جانب المينا.

اليد السمراء القوية والشعر الأسود السميك الذي يشع
تحت ضوء الشمس.

ماذا يفعل بيذرو دي سانتانا هنا في هذه الجزيرة
الصغيرة النائمة؟ إنه غنى ومهما، يقضى حياته ما بين
البارزين، والسياح عادة لا يأتون إلى هذه الجزيرة، وفي
مطلق الأحوال هو ليس بسائح. ولو أراد الراحة لطار في
طائرته الخاصة حول العالم.. وتصاعدت كل مراتتها،
التي لم تكن قد ماتت..

سوف يتعرف إليها بالتأكيد.. لقد مرت خمس سنوات
منذ أن رأها آخر مرة. شعرها الآن أقصر ومجدهي بغطاء
براق. ونظارتها تخفي عينيها الخضراء. وجسدها لم يعد
ينبض شباباً. وما أن أدار انتباهه لها حتى كانت
مستعدة لواجهته. وقال لها:

أنت تقتنشين عن المشاكل سنوريتا.. فهذه الطريق
هي عادة مكان يتتسابق فيه الأطفال على دراجاتهم،
يتحدون بعضهم بمن يقترب أكثر من الحافة.
وتلاشت الصدمة لرؤيتها أمام تذكرها لمن هو، مجرد

يعرف شيئاً عن الأعمال التجارية، وصديق محلى له
ينصحه، وهذا الرجل صديق له منذ خمس سنوات. إذن
هذا هو المحتال، الذئب في ثياب كاريبيّة. ويجب أن تكون
شديدة الحذر إذا كان جدها يثق بهذا الرجل..

كانت تقود دراجتها عند الشاطئ ساهمة تفكّر بماذا
ستفعل، وكيف ستبدأ، عندما سمعت صوتها باللغة
الأنجليزية المحلية يصبح.. فنظرت من حولها في الوقت
ال المناسب لتجد أن ولاداً يركب دراجة على وشك أن
يصطدمها. هدفه كان ركوب الدراجة فوق جدار صخري
أقرب ما يكون إلى الماء دون الواقع.. ونسى وجودها
أمّا وهو يمارس حذاته وسرعته فوق الحجارة غير المتساوية.
الكلمات الجافة المتسرعة جاءت من رجل مد يده بسرعة
ليقبض على مقود الدراجة ويوقفها على بعض أقدام منها،
ويسبب الذعر للفتى وهو يمسك به بثبات بيده السمراء.

بيذرو! وأصيبت لوسى بموجة ارتجاف. أنها تعرف
هذا الصوت ولكنها لم تتوقع سماعه ثانية. ولكن لم يكن
هناك مجال للخطأ في ذلك الجسم الطويل الأسود، وتلك

وكرهت أن يكون بقربها من جديد.. فهى تكرهه..
خمس سنوات من دفع التفكير به إلى زوايا النسيان فى
دماغها لم تدفن تلك الذكريات وأحسست بقشعريرة على
مؤخرة عنقها، وكافحت لتبقى هادئة.

هل تقيمين فى الجوار؟ فى كوخ أحد الصيادين؟
لا..

إصراره أزعجها، وجعل صوتها يبدو نافذ الصبر.
وتمتنت لو يذهب بسرعة قبل أن يبدأ بالذكر. وقبل أن
تفقد كل سيطرة على نفسها وتقول له أن يلتزم بشؤونه
الخاصة. وردد متسللاً:

أنت واحدة من هؤلاء الناس الذين يخيمون على
الشاطئ؟ ولكن هناك خطورة في البقاء وحيدة.

كيف يجرؤ على التدخل بشؤونها هكذا؟ ليس لديه أية
فكرة عنمن تكون. ومن الواضح إنه سيعتذر هكذا مع
أى كان. واستطاعت تذكر كيف أنها فشلت في الرواية من
خلال نفسيته عندما التقى في نيويورك، ولكنها الآن قد
تجاوزت سن الغباء... ورممت بالكلمات بحدة:

سماع صوته.. لقد كان يتصور إنه أمام غريبة عنه ومع
ذلك فلم يمنعه هذا من التحدث بتلك اللهجة السلطوية
المتعجرفة. وردت عليه بأدب.

لم أقابل أية مشاكل من قبل. على كل ما أفتشر عنه
هو المنظر الجميل. وهذا هو المكان الوحيد الذى أتمتع
بالنظر منه.. وفي المستقبل سوف أكون أكثر حذرا. شكرًا
لك على مساعدتك.

صوتها كان باردا، وكأنها تعرفه عنها، دون أن تكشف
أى اضطراب في نفسها.

أنت أميركية.. كان يجب أن أعرف. يوجد هنا أماكن
سياحية وهناك خطر كاف لأمرأة وحيدة. فالنساء
الأميركيات يتصرفن بغياء.. هل أنت مع أصدقاء؟

وشعرت بالأمتنان لأنه لم يتعرف عليها.. الصدمة
كانت لا تزال ترتجفها ولكن الغضب كان يتتصاعد أيضا
بينما الذكريات تتتدفق في ذهنها.

شكرا لأنقاذك لي. سأذهب الآن إذا كنت لا تمانع.

أنا لست وحدي!

وكيف وصلت إلى (كاراكو)؟

صديق لجدها جاء بهما في مركب سريع من
وليمستاد، ولكنها قالت بسرعة:

لقد قدمنا في مركب صيد منذ بضعة أيام.
قدمنا؟

صديقى وأنا.. والآن إذا كنت لا تمانع..

ولم تتح له فرصة الرد، فقد انضم إليهما صوت
متوجه ثقيل الظل.. ومن زاوية عينيها رأت لوسي، إمرأة
جميلة، كثيرة الزينة، تربط ذراعها بذراع بيورو..

إنها واحدة من المخيمين على الشاطئ: أتعرفها بيورو؟
واستدارت لوسي لتشاهد إبتسامة على وجهه الأسمر،
فمن الواضح أنه يجد الأمر مضحكاً، حتى لهجة تلك
المرأة المهينة.

غضبها كان يتضاعف في كل لحظة، ولكن فقدان
السيطرة عليه سيكون من الغباء... فلديها أشياء أخرى

تقوم بها في هذه الجزيرة.

وسائلها بعجرفة:

هل أنت بحاجة لثمن طعامك وأنت هنا سينوريتا؟
لدى المال.. شكرًا لك، حتى ولو لم يكن معى فصديقى
غنى...

على كل ليس لدى شيء أبيعه لك مقابل مالك.

ونظرت نظرة ذات مغزى إلى المرأة الأخرى:

أنا لا أبيع شيئاً.. على الأطلاق.

وعلى الفور احمر وجه المرأة بالأسى. وزاد الغضب من
دكته وجه بيورو وهذا ما ناسب لوسي كثيراً. فاستدارت
لتذهب وهي واثقة أنها لو بقيت فستتفجر أو أن حظها
سيفلت منها. فسألتها بيورو وقد تخلى عن همه مرحه:

هل نحن من يبعنك عن هنا؟

فلنقل فقط أن مزاجي قد تغير.. وقد اختفى اهتمامى
بهذا المكان فجأة.

وقال ببرود متجمداً:

ربما كان على أن أترك الولد يدفعك بدرجته إلى الماء؟

ربما..

واستدارت لتركيب دراجتها من جديد، وتقودها في الأتجاه المعاكس للمكان الذي يجب أن تذهب إليه. ولم تتنفس الصعداء حتى أصبحت آمنة داخل فيلا جدها.. إنها متأكدة الآن من شيء واحد! إلى أن يغادر بيبرودي سانتانا (كاراكو) فهي ممنوعة من الذهاب إلى الشاطئ؛ ولكنها هنا مع برنارد، ستتضايق، لأنه يجب دائمًا أن يتدخل بشؤونها.. ويرغب دوماً في رؤية ما رسمته من تصاميم.. وكذلك فامتناعها عن الخروج سوف يؤخر تحقiqاتها، أيضًا.

لماذا قررت التخلص من نزهتك يا عزيزتي؟

ونظر إليها عن قرب.. فتفتحت:

أوه يا جدي.. لقد قابلت شخصاً أزعجني، وهربت منه حتى لا يعرفني..

أين؟ هنا في (كاراكو) قوله من هو وسوف..

أوه.. إنه مجرد سائح.. هل انتقل أناس جدد للسكن في الجزيرة؟ مؤخراً؟

جديد.. يا عزيزتي هنا لا يحدث أى شيء جديد مطلقاً. فليس هناك ما يجذب الناس إلى هنا ما عدا الجمال، ولكن بعدها يكفي ليبعدهم عنها.. لا.. ليس هناك من جديد هنا.

إذن.. ما عليها سوى أن تبقى بعيدة لبضعة أيام وسوف يذهب. ربما كان هنا مجرد قضاء يومه.. وتلك المرأة لا تبدو قادرة على تحمل البقاء في مكان كهذا. وليس هناك شيء ليغدو دى سانتانا ليجري وراءه. فلأكثر فتيات الجزيرة يبدين في السادسة والخمسين!

لقد كان أول إمتحان حب في حياتها... ولم يستطع أحد أن يثير اهتمامها بعد ذلك الصيف... فقد احترقت أصابعها كفاية، وعادت إلى نمط حياتها المتحفظ، بعد أن شفخت. وعادت كما كانت، لوسى التي تسير فوق الريح، بعيدة المنال. فنها هو الحب الوحيد في حياتها. ولن يحصل أحد على هذا الحب أبداً.

دى سانتانا رجل فاتن ومثقف ومعتاد على أن تحبّط به
الجميلات.

هل جاء بأحدّهم معه؟

لم يفعل! فالمفروض أن لدينا واحدة هنا. وتجاربك
الإجتماعية قليلة يا لوسى. فاستعدّي وعلى الفور، ولا
تكوني متوفّرة! لقد التقى بالسيد دى سانتانا منذ
ستين. ولداع للقلق.

وخرجت أمّها بموجة من التوتر الغاضب، واتسعت
ضحكة لوسى بإحساس غريب وكأنّ النجوم لمستها.
وانقطعت أنفاسها، واقشعر جسدها من الأحساس
بوجوده، وهذا الشّئ لم يحدث لها من قبل.

السيد دى سانتانا يا حبيبتي هو ضيف الشرف.
وبدا أن ابتسامتها الضعيفة قد أذهلت الغريب الأسم.

فارتّفع حاجباه السود بحيرة

كنت أظنّ أنك لا تخرجين أبداً من مشغلك! منذ ستين
لحظة ثم اختفيت. ويشرفني أن تكوني معنا الليلة.

كانت يومها في التاسعة عشرة من عمرها، حياتها
فارغة تماماً ودون هموم، وكانت قد أكملت لتوها السنة
الأولى في مدرسة تصميم الأزياء وكان فنها يلفت
الأنظار، والدها (السير جورج ماكدونالد)، صاحب
ورئيس مجلس إدارة (خطوط ماكدونالد للطيران) هو من
أصل اسكتلندي سافر أسلافه إلى أميركا وقد ورث
الثروة واللقب عنهم... وكان يقيم حفلة لأعضاء المؤتمر
السنوي للشركة في منزله ذلك العام. وكانت لوسى قد
تمكنّت حتى الآن من التهرب من أيّة حفلة عشاء. ولكنها
بلغت الآن التاسعة عشرة، ولن تستطيع التهرب وخاصة
بما أن ضيوفهم، بمن فيهم قطب كبير من عالم الطيران
في منطقة الكاريبي، سيقيمون معهم بعد إنتهاء المؤتمر.

وذهب حشد المؤتمرين، وبقي عشرة منهم فقط...
واقترن ساعة لقائهما بالمدعويين على العشاء.. ودخلت
اميلى ماكدونالد الغرفة ونظرت إلى ابنتها:

لوسى! يجب أن تنزلى الآن على الفور، ماذَا سأفعل
بك؟ يجب أن ترفعي شعرك.. أريدك متألقة الليلة فالسيد

وردت لوسي بعذوبة:

لقد تلقيت الأوامر لاكون هنا.

فضحك والدها وأحاطها بذراعه:

لوسي تقول دائمًا أى شئ يخطر ببالها. أيمكن أن تعذرني قليلاً بيديرو.. فهناك شخص يحاول لفت انتباهي.

وتتركهما. واجتاحتها رغبة مذعورة بالركض قلقة،
ومشارعها تهتز كما لم يحدث لها أبداً من قبل.

لقد أغضبتك بطريقة ما، مع أنتي لم أكن أقصد.

فتمتنعت بصعوبة، خجلة أكثر منها محرجة:

ربما أنا الملتورة.. فلم أتلق الأوامر بالحضور فقط،
بل يتوقع مني أن أكون متહلةقة وفاتنة. وهذا أكثر من طاقتى.

فضحك، وأحسست بصوته يلتصق ببشرتها، وتحرك
أمامها حتى أخفاها عن نظر أمها.

وهل هذه أوامر الليدي ماكدونالد؟ ولكن صغيرة
جداً بعد على الحذلقة والفتنة. أنت فقط في التاسعة عشر.

وكيف عرفت؟

كنت في السابعة عشرة عندما زرتكم آخر مرة.. أنت
كفراشة قد بربرت من شرنقتها من جديد. صغيرة جداً
وجميلة جداً، حتى أنك قد لا تدركين هذا. وأنت لست
بحاجة للفتنة.

أتمنى أن تتوافق أمي معك.

لم يكن قد تحدث أحد إليها هكذا، حتى ولا كمزاح.
ولم تكن تعرف تماماً ما عليها أن تفعل. فأنها محققة،
تجربتها الاجتماعية قليلة. ولم تندمج مع أحد من قبل.
وقال بيديرو:

سوف أخبرها بهذا إذا أصبح الأمر ضروريًا. هل
تسمحين بمرافقتك إلى مائدة العشاء.

وأرادت ذلك، كثيراً، ولكنها لم تجلس إلى قربه.. وبدأ
أنه هدف كل إمرأة كانت هناك. وهذا ما جعل لوسي تبدو
صغريرة جداً وليس في مكانها الصحيح، إلى أن رفعت
نظرها إليه لترى عيناه السوداء مرکزتان عليها.

كذبه كامله

ووجدها جدها في الصباح الباكر تروح وتجي قلقة مع أنها كانت تحاول أن لا يظهر عليها ذلك. فنظر إليها ثم تجاهلها.. وكانت في الشرفة الأمامية المطلة على البحر.. وخلف المنزل كانت جوانب التل ترتفع بحدة تغطيها خضرة شجر الزيتون والصنوبر.

كان في أعلى التل منزل مدمر قديم، ملك لجدها في جزء من أرضه، منزل ضخم كبير كانت تجويه خائفة في طفولتها. المنظر من شرفة الفيلا جميل جداً، ولكن من التلة المكسوة بالخضرة، ومن على جدران المنزل القديم، المنظر يقطع الأنفاس.. فالشاطئ يحيط به أشجار الصنوبر والبالم، والمياه تتغير من اللون الأزرق إلى اللون

وبدأ شعور ما يفتح داخلها، مهدداً بأن يذوب وينتشر أكثر في كل عروقها. فأشاحت بوجهها بسرعة وعندما أعادت النظر، كان لا يزال يحدق بها، وابتسمة رضى هذه المرة تنتشر على وجهه. وأحسست أن في عينيه حديث لا تعرف ما هو.

بعد العشاء، وفي غرفة الاستقبال، تقدم نحوها، ولكن والدها أمسك به وشاركه في الحديث.. فهربت لوسى إلى غرفتها.

وكان هذا منذ زمن بعيد.. ولم يعد الأمر مهم الآن. فالالم قد تلاشى.. ووقفت لوسى لتنظر إلى الميناء، وقد أزعجها أن خططها ستتأخر. ولو حاولت أن تتبعها، فقد يشاهدتها ثانية ويتعرف إليها. ولا بد أنه لديه ذاكرة.. حتى ولو كانت بعيدة عنها في الوقت الحاضر.

بعيد، وأوراق الرسم تحت أبطها ومعداتها تتعلق فوق كفها بحقيقة صغيرة.

وتقريباً عند القمة.. وقفت لستريح واستدارت لتنظر إلى البحر.. المنظر يستأهل هذا التسلق الشاق.. من تحتها.. إلى اليمين استطاعت أن تشاهد الميناء الصغير وقرية الصيادين. في ساحتها رجال كبار في السن يجلسون تحت ظل الأشجار يشربون.. والكنيسة البيضاء بسقفها الملؤن.. إلى اليسار، يمتد الشاطئ إلى الجنوب، يخلو من السياح، والبحر أزرق وتركمانى عند كل تحرك للموج، تماماً كما تذكره.

وتابعت التسلق، تاركة أشياعها عند جانب التل.. ولكن ما أن وصلت إلى القمة، حتى فجرت فمها مذهولة. لم يكن هناك بيت خرب، فالمنزل تم إصلاحه، كل جزء منه أعيد إلى جماله الأصلى.. إنه جزء من الأرض التي باعها جداً. إحدى أثمن ممتلكاته التي استولى عليها ذلك المحتال المجهول.

ورأت أن طريقاً قد شقت للوصول إليه، من خلف التل،

الأصفر، والمنظر يزال عالقاً في ذهنها. وسيكون متعة جديدة لها بانتظار سفر بيبرو (كاركاو).

ونظر إليها جدها:

هل يمكن أن تتوقفى يا عزيزتى.. عادة أنت من أهدأ الناس ولا أعرف ماذا دهاك. هل قررت هجر عملك بتلك التصاميم؟

لا.. ولكنني وصلت إلى نقطة صعبة لم أستطع تجاوزها، وسأتركها اليوم. وأنحاول أن أقرر ماذا أفعل في هذه الأثناء. أظن أننى سأبدأ بدراسة تصميم جديد. فائنا غالباً ما أعمل على تصميمين دفعه واحدة.

وهكذا تحولت عن الحقيقة إلى كذبة كاملة. وعاد إلى كتابه، آه.. جيد!

ومع ذلك فقد دفعها إلى العمل. وبدا أفضل حالاً اليوم ولم ترغب في أن تقلق عليه، وعملها الاستجوابي سيتأخر. المنزل المدمر كان يبعد كثيراً عن الشاطئ. وبعد نصف ساعة كانت قد بدأت تتسلق التلة الشديدة الانحدار خلف المنزل، مستخدمة الطرق القديمة التي هجرت منذ زمن

سانتانا، هو وحده من يملك الثراء الكافى لاعادة بناء ذلك المنزل المدمر، وأن يشق الطريق عبر الصخور، وأن يجئ بشجرتى البلح من مكان لا يعرفه سوى الله لتزيين الفناء. ولكن هل يخسر جدها كل شئ؟ بيدرو دى سانتانا؟ لماذا؟ بيدرو مليونير مضاعف بمئات المرات عن جدها... فلماذا يريد أن يسلب الرجل العجوز أملأكه؟

في عجلتها، كادت تقع عن سطح التلة، فتشبتت بالأغصان ثم بالعشب، وتوقفت مقطوعة الأنفاس عند سماعها لصوت لم تكن ترغب أبداً في سماعه.
ماذا تفعلين هنا؟ أنها أرض خاصة... الشاطئ حر
ومباح للجميع، أما هذا التل فلا!

أجل... لقد كانت أرض جدها! ولكنها ليس أفضل منها اختيار الأصدقاء. ولكنها الآن ليست في التاسعة عشرة من عمرها، فاستدارت ونظرت إلى فوق. كانت لا تزال ترتدي نظارتها الشمسية ومنديلها على رأسها، إضافة إلى الأمان الذي توفره لها خمس سنوات من البعد عنه. ولقد عرفت الآن العدو دون أن تحقق حوله. وقالت:

لذا لم تشاهدنا من منزل جدها، وكانت الطريق تنتهي إلى باحة عريضة يقف أسدین من المرمر يحميان بوابتها، وأمام الباب باحة مرصوفة بالحصى على جانبیها مساكب من الأركاديا والأرتازيا الزهرية الحمراء وأشجار برقال مزهرة كانت تزيد المدخل جمالاً. أشجار ورد أحمر متسلق كانت تلف النواخذة وشجرتا بلح مذهلتا الجمال تقیان ظلهمما على مياه نافورة رائعة!.

وللحظة وقفت لوسى دون حراك، وقد صدمها جمال المنزل. وكانتا من يكون صاحبه، فإن له ذوق، وعليها الآن أن تعرف من هو. ويمكنها أن تطلب من صاحبه الأذن بأن ترسم هناك مستخدمة مناظر المنزل كخلفية لتصاميمها.

وقطاع أفكارها صوت سمعته مؤخراً، وتدكره تماماً:
بيدرو! بيدرو! أين أنت؟ على الذهاب الآن إلى القرية حبيبي!

وخرجت المرأة الرشيقـة إلى الـباـحة... وهربت لوسى..
وـقلـبـها يـضـربـ وكـثـهـ الرـعـدـ.

ليس هناك أناس لا تعرفهم؟ إنه منزل بيدرو دى

لابد أن هناك خطب ما في نظرك. فأنا مغطاة الجسد
كاملًا. وماذا يجعلك تتصور أنني أعيش في خيمة؟
وسررت من عجرفته، مقلدة لهجته، فنظر إليها مدقًا.
أنت لا تقيمين في منازل الصيادين ولا في الفندق،
وهذا أمر أعرفه.. فقد سألت عنك. فما يمكّن لفنانة مثلك
أن تقيم؟ فنانة مع صديقها؟

فصاحت به:

ليس لديك الحق في السؤال عنِّي! فلدينا خيمة عند
الشاطئ.. صغيرة في الواقع.
وسرها أن وجهه قد تصلب.. فسألها بحدة:
وأين هي؟

هذا ليس من شأنك. لقد قلت أن الشاطئ حر ومفتوح
للجميع... وذلك يعني نحن!
وانحنت لستعيد أشياعها، متشوقة لأن تغادر المكان
الآن. لقد كانت خطة ممتازة أنها أنت بيرنارد معها.. فقد
عرف الجميع أنها فنانة مشكوك بشخصيتها، وعندما

لقد أتيت إلى هنا لأرسم بعض التصاميم، ولكنني
غيرت رأيي.

آه.. أنت الفتاة الأميركيّة! ومن الأفضل لك أن غيرت
رأيك. فلو ابتدأت الرسم هنا فسوف تضطر إلى التخلّي
عنه في منتصفه.

أنت لا توافق إذن على حرية الفنان؟ وهذا ليس
التصرف العادي لأهل هذه المنطقة.

واندهشت من نفسها لهاجمته، إذ كان عليها أن
تنسحب مهزومة، ولكن هذا ليس من طباعها، وما تذكرته
عن يوم أمس أشعل غضبها.. وأضيفت الآن خطايا
جديدة له لتزيد غضبها.

وقال بحدة:

ستندهشين للتصرفات التي تقوم بها تجاه الجماعات
المثيرة للغضب التي تحتشد فوق شواطئنا. في بلادك لا
باس في أن تجوي كل الشواطئ نصف عارية وتضعين
خيائك أينما يحلو لك، ولكن هنا.. الأمر مختلف!

يشاهد بيبرو برنارد سيتاكد من هذا.

وتقدم بيبرو منها، ونظر إلى تحركاتها بقطبية عميقة.

لماذا لا تنهين الرسم القديم؟ إنه جميل جدا بل رائع.

أنت تعرف شيئا عن الفن إذن؟

ليس في الواقع.

اوه.. لن تقول أنك لا تعرف شيئا عن الفن سوى ما يعجبك!

ولماذا لا؟ معظم الرسومات كالكليشيات قريبة من المنظر الحقيقى ولكنى لم أكن ساقول هذا وما أعرفه عن الفن علمتني إياه فتاه شابه وهى لا تشبهك أبدا، منذ وقت بعيد.. وكانت فنانة مثلك.

وهل هي ببراعتها؟.

كانت صغيرة جدا.. وكانت أيضا تميل إلى ترك كل شيء من منتصفه. والشعور أنها الآن تماثل براعة، وخاصة أنها لا ترسم المناظر الجميلة.. بل تصاميم الملابس أيضا، وكانت غير عادية أيضا.. وجميلة جدا.

وكأنها إسم محفور على الصخر؟

لم تكن متقلبة على الأقل!

وفاجئتها لهجته الصادقة فهى لم تعند على أن تستخدم كمثال لقيم خارقة. وليس هناك فيه أية قيمة كذلك، فقالت ساخرة:

كم هذا مضجر!

أى شخص قد يتصرف باحتشام سينظر إليه فنان غير مستقر مثلك كمعبث للضجر.

ولكننا لا نعيش حسب قيمك بالمرة.

وووضعت حقيقتها على كتفها واستدارت، متوقعة ردا، ولكنها لم تسمع أى شيء. فنظرت إليه بسرعة، وذعرت لرؤيتها عيناه متسمرين على قدميها العاريتين.. لقد شاهد قدميها العاريتين في المنزل من قبل، عندما كان يزور مشغلاها.. وقد قبل كل جزء من هذه الأقدام ليلة أن.. ولكن لا يمكن التعرف إلى الناس من أقدامهم، أيمكن هذا؟ ومع ذلك فقد سارعت إلى التحرك بسرعة والذكرى تجعلها ترتجف.

أين هو صديقك هذا؟

في المصيدة داخل المنزل. بالطبع لن يهمها ما قد يظن بها بيذرو. فلقد ملأها الأزدراه له لفترة خمس سنوات، إضافة الآن إلى شعور غاضب لخداعه جدها. ولكن فكرة أن تتقدم منه وتترع نظارتها لتقول له: مرحبا سيد دي سانتانا.. لم تكن تروق لها. وبدا لها من المحتم الآن تغادر (كاراكو).

وكانت الساعة تقارب السادسة والنصف عندما رفعت نظرها عن الكتاب الذي تقرأه لسماعها صوت جدها:

اللعنة! اليوم الثلاثاء؟

وهل لديك شيء ضد يوم الثلاثاء؟

ولكن ما قاله جدها رداً عليها، مسح الإبتسامة عن وجهها. على حضور عشاء الليلة، بعد ساعة تماما.. عليك تحضير نفسك يا لوسي. أعلم كم تتأخر النساء، وأظن الفناتس يأخذن وقتاً أطول.

كم هذه ملاحظة سيئة؟ على كل، أنا لست مدعوة! بلـ يا عزيزتي.. لقد تلقيت الدعوة قبل أن تصلى إلى

فالتفتت إليه، كان يقف ويداه على خصره النحيل. وفي عينيه السوداويين نظرة انزعاج. وابتسمت بارتياح.. إنه لم يعرفها، يريد فقط أن يزعجها. ونظرت إلى الشاطئ.. من هذا الارتفاع يمكن أن يشاهد المرء الشاطئ لمسافة بعيدة، واستطاعت أن تشاهد برنارد بشعره الطويل يجلس عند الشاطئ. كان يستند إلى صخرة، وعيناه إلى البحر. ورفعت ذراعها النحيل لتشير: إنه هناك.

وضاقت عيناه بغضب.

إذن أنت فعلـ هنا مع رجل. إنه هيبي!

وهل كنت تتوقع شيئاً مختلفاً؟ نحن فنانان، نعيش حيثما وكيفما نشاء.

وتابعت سيرها، ولم تشعر أنها بأمان حتى وصلت إلى أسفل التل ونظرت إلى خلفها فوجدهـ قد ذهبـ.

لقد أصبح الوضع الأن مستحيلاـ. وأحسـت أنها عالة

وهذا صعب عليك! أما الليلة فستفعل أكثر من هذا لأننا سنتعشى في الخارج.. عند مسؤول من الجزيرة. فالبذلة يا صديقي.. وربطة العنق لو سمحت. فجدى لديه سمعته المحترمة هنا.

عندما عادت إلى غرفة الاستقبال وجدت جدها بسترة العشاء السوداء وربطة العنق السوداء، وبدأت تحس بالأرتياخ، ولكن فات الوقت لأن تراجع وتدعى الصداع. أنت فتاة جميلة لوسى.

ونظر إليها جدها بسرور، كان ثوبها بلون مرجانى شاحب، ضيق من الصدر وواسع تحت الخصر، وأبرز اللون السمرة التي اكتسبتها منذ قدمت إلى هنا، ومجوهراتها الوحيدة كان سلسلة ذهبية أهدتها لها والدها في عيد ميلادها الواحد والعشرين.

لقد اختارت لي أمي هذا الثوب.

أجل.. أميلى لديها ذوق.. ولكن دون عقل، ولا سيطرة على نفسها ولا بعد نظر... ولكن لديها ذوق.

هذا بقليل وذكرت أنت قادمة فشمتلك الدعوة.
أين؟

عند صاحب مكانة رفيعة في الجزيرة، هل جلبت معك ما يناسبك مثل هذه الليلة؟

لقد جلبت ثوبى سهرة في الواقع، ولم أكن لأظن أنتى سوف استخدمهما. ولكننى مستعدة.

إسرعى إذن عزيزتى.. لا أريد التأخير... ما اسمه... برنارد يمكنه المجىء أيضا.

لابد أن هذه الدعوة هي كالدعوات التي كانت تحضرها مع جدها وهى صغيرة.. وإذا كان بيذرو مدعوا فسوف تتمكن بسهولة أن تتجنبه. وصعدت إلى غرفة برنارد وقالت له:

هل جلبت معك البذلة التي قلت لك عنها؟ بالطبع.. مع أن هذا جنون.. لا تقولى لي أن علينا ارتداء ثياب رسمية للعشاء الليلة؟ فائنا كل يوم أغتنسل وأغير قميصى.

السماء التي تتعلق بآذيه.
في القرية، استدارت السيارة إلى الداخل، وبدأت
تسلق طريقاً مشقوقة حديثاً. واشتدت قبضة يدها على
الأخرى.

ظننتك قلت أن هذه دعوة عند مسؤول الجزيرة؟
حسناً.. لقد ظننت أن هذا الوصف يناسب تماماً
بيدرو دي سانتانا فنحن صديقان مقربان. لقد ساعدني
كثيراً، وطوال خمس سنوات.
سيعجبك لوسى... إنه يتكلم الأنكليزية بطلاقة. فلا
تضليل حول مشكلة اللغة.

إنها تعرف هذا تماماً. فقد تكلم معها بحدة هذا
الصباح.. وتكلم معها بنعومة وبصوت مرتفع منذ خمس
سنوات.. خمس سنوات! لابد أنه حضر إلى هنا بعد هذا
التاريخ مباشرة...

لم يكن هناك أية وسيلة للتخلص من هذا المأزق دون
أن تكرر جدها.. لذلك عليها أن تستسلم الآن.

فضحكت لوسى للاحظته، ثم استدار معاً بدھشة
لينظر إلى برنارد الأنثيق في بذلته السوداء، صحيح أن
ربطة عنقه مزهرة قليلاً إلا أنها كانت جميلة. وكان قد
نزع ربطة رأسه لأول مرة. وبدا بالفعل وسيماً.. فتمتنع
بأعجاب وعيناها تضحكان:

واو.. ماذا لدينا هنا..؟ سويرمان؟
لا تقولي كلمة أخرى أو سأعود لأخلعها.. لقد
ارتديتها يوم تزوجت أختي ولم أرتديها منذ ذلك الوقت..
شخص ما قد كواها..

ونظر إلى الجد.. فاكد له هذا ضاحكاً:
ليس أنا.. ربما بعض الخدم وهي ترتيب ثيابك.
ربما..
وكانت الليلة رقيقة ودافئة، وقد حل الظلام بالكامل.
وصوت البحر يهدأ من بعيد، وارتاحت لوسى عند
جلوسها في السيارة بالقرب من جدها. لابد أن عشاء
قرؤياً لن يجذب اهتمام بيدرو، وبالتالي ليس لتلك السيدة

الميناء الصغير. ولابد أن أصدقاء له من الجزر القريبة، أو حتى أميركا موجودون هنا.

في الداخل أخذ رأسها يلتفت في كل ناحية.. مع أنها أقسمت أن لا تتكلم مع بيورو دي سانتانا ثانية. فكيف لها أن تواجهه؟ هل سيتمكن من رؤية كم المها؟ هل سيعرف لماذا هي هنا.. ويحاول إخفاء آثار تحركاته؟ أم أنه لا يزال متعرجاً حتى أن تصرفاته لا تزعجه؟

هنا، في هذا المنزل الجميل، وفي هذا المحيط المتمدن، مع الآثرياء الواقفين هناك كل يحمل كأس شرابه، وبيشامبهم الغالية الثمن... أحسست من جديد ما كانت تحس به يوم كانت في التاسعة عشرة من عمرها عندما انصب اهتمام بيورو دي سانتانا عليها. وفي هذا الجو نسيت ما حصل لها بعد ذلك.. وغمرها نوع من الآثار القاطعة للأنفاس، وعرفت أنها تنتظر رؤيتها، كما كانت تنتظر منذ خمس سنوات.

ويقيت للحظات وحدها.. لقد مضت عليها سنوات لم تشعر بأي نوع من الآثار.. فقد كانت تحس بالأمان في

ما هذا الفخ الذي أدخلنا أنفسنا به.
ولكنني لم أخدعك يا عزيزتي.

لم أقصد يا جدي. كان فكري في شيء آخر.

وتلوى الطريق حول التل..وها هو المنزل أمامهم يشع بالأشواء وعدة سيارات تقف عند المدخل وفي الباحة.. ولم يعد هناك شيء أمامها إلا أن تنزل من السيارة كما فعل جدها وبرنارد.

كانت رائحة الزهور، مضافة إلى الرائحة الحلوة للمساء ولهواء الليل المنبعث من البحر القريب، تضيف سحراً خاصاً لتلك الليلة وللحجارة الناعمة للمنزل. وصادمتها جمال ثانية. ولكن لا وقت الآن لتأمل هذا الجمال. فمن الواضح أن جدها يعرف هذا المنزل جيداً. فقد أخذ ذراعها وتوجه بها نحو الباب المفتوح بخطوات واسعة.. ولكنها رغبت أيضاً في أن تتعلق بذراع برنارد، حتى ولو اعتقاد أنها جنت.

وأدهشها عدد الناس هناك، إلى أن تذكرت أن سفينة كبيرة كانت راسية هذا الصباح على حوالي ميل من

كما هو صديقك.. جدك متساهم، رجل لطيف.
كذلك هو مريض. لذلك أنا هنا. وإلا لما كنت أزعجه
بصديق هيبى. وبرنارد رجل مهذب جداً، ومعتاد على
الحياة المنزليّة!

بالتأكيد قد استحقيت تلك الملاحظة عن الهيبين؟. فلم
يكن لطفاً منك التظاهر بائنا غرباء.
ولكن نحن غرباء تقريباً. على كل الأحوال، كنت راغبةً
في الأدعاء نفسه أيضاً.

وقال ساخراً:

أنا أحب التساهُل مع الأطفال.

أجل.. أذكر هذا.

وسمعت صوت تنفسه الحاد. وصوت أسنانه تصر
غصباً. ولكنها لم تستدر لتنظر إليه، فقد علمت أنه لم
يتغير أبداً. ولكن منظره الساحر هذه الليلة أعادها إلى
الماضى، وإذا لم يكن يمثل شيئاً فهو أكثر جاذبية، أم
أنها الآن قد أصبحت إمرأة ناضجة؟

عالها الخاص، في موهبتها الخاصة.. كل شيء قد تم كما
خطّطت له.. ولكن الآن، وفي هذه اللحظات، كانت ترتجف
مرتبكة، دون أن تعرف كيف ستتمكن من مواجهة بيدها
عندما يظهر في آخر الأمر.

وقدمت إليها كأس شراب بارد. واقع أنها قدمت لها
من الخلف لم يسجل في ذهنهما أي شيء. فأخذتها متمتمة
بكاملات الشكر، وكانت أن توقعها على الفور للصوت
الساخر الذي أرسل القشعريرة على طول سلسلة ظهرها.

هل انتهت اللعبة؟

ولم يكن أمامها إلا أن تستدير لتواجهه، واستدارت
بيبطء، وهي تسيطر على تعابير وجهها بشدة، والتقت
بعينيه السوداويين سواد الليل. وللحظات لم يتكلم أحد
منهما. فقد كانت لوسى تائهة، ومع كل محاولتها التخفي
وإظهار رباطة الجأش، بدت دون دفاعات.

لقد أتيت بصديقك كما أرى.

ليس بالضبط.. لقد دعاني جدي إلى هنا.. كما ولابد
أنك لاحظت، أنت تعرف إذن أنني أقيم مع جدي.

واستدارت بعنف لتحقق به، شعرها الذهبي ينسدل
على وجهها، ثم يتدلّى على كتفيها، وعيناها اللوزيتا
الشكل تقدحان شرراً. فرد عليها:

ليس الوقت كله.. فلو كنت إمراة كاملة فربما ما كنت
تركتك، وربما أنت لست إمراة الآن؟ ولو كنت إمراة لما
اختبأت خلف نظارة سوداء وتظاهرت أنك غريبة. ومع
ذلك.. فأنت دائماً كنت غير طبيعية، ولقد انتقشت صديقاً
غير طبيعي كذلك.

لقد عرفتني لفترة قصيرة.. ولا أظنها تكفي لتحكم
على خلالها أبداً بالنسبة لبرنارد، سأقدمه لك، إنه رجل
موهوب.

يحتاج لأن يكون موهوباً بمنظر كهذا!
ومرت عيناه فوق جسدها، وفوق بشرة وجهها الناعمة،
ولعان شعرها.. وقال لها أمراً بصوت منخفض جداً:
ستناديوني بيذرو.

لا يعجبني هذا. أنت رجل كبير في السن.

بعد أن أنهيت لعبتك الصغيرة، أستطيع أن أقول لك
أنت أرحب بك هنا.

كيف يجرؤ على هذا القول؟ وتصاعد غضبها لكلماته
الخبثة التي تلفظها بنعومة.. في وقت كهذا، يجب أن
يكون قد تذكر ما حدث بينهما.

لم يكن لدى أية رغبة في المجيء إلى هنا سيد دي
سانتنا... فصحة جدي هي جل اهتمامي الآن. ومن
المستحيل أن أرفض المجيء دون أن أغضبه.

ألم تفكري بالصداع، أو ادعاء تفضيلك البقاء مع
صديقك لفترة هادئة.. ولوحدكما؟

في الوقت الذي عرفت به أين ستدhib كان الوقت قد
فات. وسأتصرف بشكل أفضل المرة القادمة.

أنت تتصرفين كطفلة! لقد كنت أتوقع أن تتحسنني
خلال خمس سنوات.

لقد كنت يومها إمراة سيد دي سانتانا، على الأقل لقد
عاملتني كأمراً!

أنا في الخامسة والثلاثين، وبالتأكيد أكبر منك سنًا
لتفهميني.. على كل أنت محققة أنسة ماكدونالد.. فلنحافظ
على الرسميات. والآن إذ سمحت لي، يجب أن لا أتجاهل
ضيوفى. وبإمكانك تقديمى إلى صديقك فيما بعد.. ففى
الوقت الحاضر يبدو مشغولاً مع النساء.

وراقبته بيتعد.. عنها ولاحظت شموخ هامته وهو
يتحدث إلى جدها. واعترفت لنفسها إنه جعلها تشعر
بأنها طفلاً. ولابد أن لسانها قد اتخذ له حياة خاصة به،
فهذه ليست الطريقة التي تخيلت إنها ستلتقي بيبردو...
لقد تصرفت كالمرأة السليطة. وسيكون نصراً لها لو
حافظت على كرامتها.

وتملكها شعور بأنها خطت أولى الخطوات نحو
الهزيمة.

شهرة جدها كانت تعنى أن لوسي لن ترك لوحدها
لفترة طويلة وسرعان ما وجدت نفسها تجلس إلى الطاولة
الطويلة التي تلمع بالكريستال والفضة، تتناول الطعام في
نفس الغرفة مع بيبردو بعد مدة طويلة.. وكان يجلس على
رأس المائدة، أنيق واثق من نفسه، وتمكن لوسي من
مراقبته بينما الحديث يدور من حولها.

وجلست تراقب بيبردو بنوع من العجب والرهبة
ممزوجان بالغضب. وكان مختلفاً بالكامل عن أي إنسان
عرفته.. وجهه كامل تقريباً، برونزى اللون ورجلٌ. عيناه
السوداوان طويتان غريبتان، لهما طول غير عادى عندما
حافتاهما الخارجية، ربما يكون عربياً أكثر منه أندىزى،
أسمركسود الليل وملئ بالأسرار شعره الأسود يلمع

بأنوارها، وإلى الجنوب ذلك المركب الكبير..

هنا في الخارج أربع النباتات الليلة كان ثقيلاً وقوياً.
والبحر بعيد لا تسمع هدير أمواجه، والسماء عميقة
مخملية السواد، لامعة النجوم. كان كل شيء من حولها
جميل. وتنفست بقوة وثبات، كم رائع العيش هنا والتمتع
بهذه المظاهر ليل نهار. وكم مزعج أن يملك كل هذا
شخص مثل بيورو.

ولم تشعر بأنها لم تعد لوحدها حتى تكلم بيورو:
ألا زلت تهربين من الناس، أم أنت تنظرين إلى هذا
المنظر نظرة فنان؟

فردت عليه دون أن تلتفت:

اذكر هذا المنظر من سنوات طويلة.. لقد كان المكان
خرابة. ولقد أصلحته بشكل جميل.

بعد ظهر هذا اليوم، أكان في نيتك الصعود إلى هنا
للرسم؟ ألم تكوني تعرفي أن المنزل لم يعد مجرد خرابة؟
لا.. لم أكن أعلم... لقد اندهشت تماماً.

في النور كلما التفت ليتحدث إلى المرأة إلى جانبه.

بعد العشاء، تابعت الحفلة المتمدنة سيرها، وانسحب
الضيوف إلى صالة الاستقبال الراحبة التي تقود مباشرة
إلى الباحة الخارجية المرصوفة بالحصى، حيث فتحت
الأبواب الزجاجية على مصراعيها، والستائر الحريرية
الطويلة تتحرك ببطء في النسيم العليل للمساء، وتتدفق
العطر المنعش لبعض نباتات الليل عبر الأبواب.

ونجح في تجاهلها، وعندما كانت عيناهم تلتقيان
صادفة، كانت نظرته باردة وسوداء، فلقد أظهرت له أنها
ضيفة ذات طباع ردئ، وتستحق التجاهل، ولكن جرائمه
هو، لا تزعجه أبداً، وأحسست بالضيق فذنوبي يجب أن
تحنى له هامته.

وأحسست فجأة أنها يجب أن تغادر المكان، لتبتعد عن
نظر بيورو والمرأة المتعلقة به. وتحركت بسرعة نحو أبواب
الشرفة وخرجت إلى العتمة، وسارت إلى الحائط
المخض الذي يحد الفناء ووقفت تتحقق بأليناء بعيد
تحتها وإلى البحر حيث تطفوا قوارب الصيد الصغيرة

أنا فنانة أيضاً.. وأنا وبرنارد نفهم بعضنا.
من الواضح إنه يصدق كل ما قالت له، ويعتقد فعلاً أن
برنارد صديقها.. وهكذا أفضل، طالما لا يكتشف برنارد
الأمر. فماذا سيقول بيذرو يا ترى لو قالت له كم طالت
المدة كي تتغلب على ما شعرت به نحوه؟ مازاً لو عرف
أنها لفترة طويلة مرضت.. ولم تعد لديها الرغبة في
البقاء حية؟ وقال لها:

أنت مختلفة عما كنت.

بالطبع أنا مختلفة! ألم تتوقع أن أكون مختلفة؟
وبدا ردها مريراً، متلماً، وبسرعة سيطرت على نبرات
صوتها:
لقد كبرت. ولم أعد في التاسعة عشر، وسهلة الانخداع.
واستدارت بسرعة لتعود إلى المنزل، معترفة بهذا إنه
يشيرها. وغضبها كان يشيرها أيضاً. وهي عادة لا تبلغ
ذروة في الغضب لأن الناس لا يتدخلون في حياتها
كثيراً، وأمسك بيذرو بذراعها وأعادها لتواجهه ثانية.

وخطاب أملك. ولكن لا سبب أبداً يمنعك من المجيء ساعة
تشائين. بإمكانك استخدام أية بقعة من المنزل كل يوم.

أنت تنسى أن المنزل مسكن الآن.
لن يزعجك أحد. حتى أن خدمي سيجلبون لك الطعام..
فأنا أعرف جيداً أنك تستغرقين في عالمك الخاص عندما
تبدين التصميم والرسم.

أنت لطيف جداً، ولكن لا، شكراً لك. لقد وضعت
تصميماتي ولا أحتاج إلا إلى التنفيذ.

وهل هي تصاميم لزيائين؟
لا.. فأنا أحضر لعرض الأزياء الصيفي، وليس
أمامي سوى تنفيذ ثلاثة تصاميم بعد.

أتعنى أنك ستذهب.. إذا كان وجودي على الجزيرة
يزعجك فأنا مستعد لتركها.
وتقدم فجأة نحوها ليمسك كتفيها بيديه القويتين..
ويديها لتواجهه، ثم يسألها:

لماذا أنت متورطة مع شخص مثل ذلك الفنان؟

الأمر أصبح سخيفاً.. ويجب أن تعود من حيث أنت، وبأسرع وقت ممكن، فما يرعبها الآن أن وجهه بيذروه رفض مغادرة فكرها.

نظرة واحدة إلى جدها بعد أن أصبحا داخل الفيلا جعلها تنسى خطتها، فلقد بدا تعباً. وربما السهر في الخارج كثير على صحته؟ ربما الفيروس قد عاوده، ولم يتركه أصلاً؟ فهو لم يعد صغيراً في السن ويمكّنه مقاومة أي مرض بسهولة. وعلمت أن عليها أن تبقى حتى ولو أن هذا يعني الإتصال أحياناً مع بيذروه. ولماذا تهتم؟ أنها تعرف من هو.. وتعرف هذا منذ خمس سنوات.

وقال برنارد:

إنها أمسيّة ساحقة.. ربما سأبقي هنا.. لقد بدّت السيدات مأخذات بي.

فقالت لوسي مازحة:

ربما أخذن بالبذلة. فالنساء لا يعجبن بمن لا يهتم بمظهره. ولكنني نظيف على الدوام، ولكن من سوء حظي أن النظافة لا تبدو على. منذ متى تعرفين مضيفنا الوسيم؟

وهل تنوين الزواج من هذا.. هذه الشخصية غير المألوفة؟ أوه.. أشك في هذا. فنحن نملك كل شيء دون أن نتزوج. وفي وسطنا، الناس لا يتزوجون عادة.. ليس في هذه المرحلة على كل الأحوال.

وتركتها تذهب قائلاً بتعصّب:

ربما أنت على حق ونحن لا نعرف بعضنا.. لقد مضى زمن طويل، والذكريات تشوّه الأمور، فنحن نتذكر فقط ما نرغب في تذكره.

واستدار لينظر إلى البحر. ونظرت لوسي إلى قوامه المتکبر.. ثم استدارت لتعود إلى المنزل. وعندما عاد إلى الداخل تجنبها تماماً دون صعوبة. وكم أحسست بالسرور عندما قال جدها أن الوقت قد حان للذهاب. وودعهم بيذروه بكل أدب. وقال بغضّرسة:

أنا قد تشرفت بمعرفتك أنسة ماكدونالد.

وقال جدها معلقاً وهم في طريق العودة: إنه رجل رائع.

وواجهها السؤال، وأحمر وجهها:

من؟ بيذرو؟ أوه.. منذ زمن.. عندما كنت في التاسعة عشرة.
هم.. م.. أنا أذكرك عندما كنت في هذا العمر. وأنكر
أن النور قد هجر وجهك يومها. وأنكر كم أمضيت وأنت
مريضه.. فلا تدعه يُؤلِّك ثانية لوسى.

واستدار ليذهب إلى غرفته. وحدقت به لوسى، وهي
تتجلى من ملاحظتها له.. وأحسست بالإضطراب فصاحت:
برنارد.. أنا.. أنا آسفة حول...

واستدار ليتسم لها:

إنسي الأمر.. فلدى غرور بنفسى يكفى لاثنين،
فاعلميني إذا كنت بحاجة لشيء منه. وانتبهى لنفسك!
واحرسى قلبك!

في اليوم التالي، قررت لوسى أن تواجه الأمور.
فالتحايل لا ينفع بعد الآن. ولا شيء تستطيع فعله قد
يمحوه الماضي. وإذا لم تصلب نفسها فسيحاول برنارد
بالتأكيد السخرية منها.. وإذا كان عليها أن تواجه

بيذرو.. فليكن.

وتوجهت إلى المينا، السفينة الكبيرة كانت قد عادت
من حيث أنت بأصدقاء بيذرو، ولكن في مكانها كان هناك
مركب أصغر. ليس كبيراً لدرجة مزعجة ولكنه كان كلطخة
على وجه الماء الصافية. فصاحت

لعنة الجحيم..!

وتوقفت عن السير لتحقق في المياه، وتقدم منها دانييل
عامل الفندق لينظر إليها، فهو عادة يجلس هناك كل
صباح ليدخن ويتحقق إلى البحر.

هل هناك مشكلة سنيوريتا؟ أيمكن أن أساعدك؟

ليس إلا إذا استطعت إزالة ذلك المركب القذر دانييل!
إنه يقف في طريقى.

تجاهليه سنيوريتا.. تظاهري أنه غير موجود.

وابتسم لها حتى بانت أسنانه البيضاء اللامعة، فقالت:
أخشى أن لا أستطيع تجاهله، ومع أن هذا قد يبدو
غريبا. فسأطلع إليه طوال الوقت.. وسيقاطع منظره

محدود، أو هكذا جعلتني أعتقد يوم أمس. وسيتأخر
تحريك المركب، ولكن بعدها بإمكانك المضي في عملك،
وبهذا تستطعي السفر بأسرع وقت ممكن.

شكرا لك إذن.. أقبل بعرضك.. فلى كل النية أن أسافر
بسرعة.. فماذا ستفعل.. هل ستشير للطاقم بأن يبتعد؟
وكانت لهجتها تماثل لهجته حدة. فلن يستطيع التظاهر
بالطهر أمامها وهي تعرف كل جرائمه. ورد عليها:

أسف لأن أقول.. لا.. أذكر أننى قلت لك مرة أن لدى
مركب أسيره بنفسي. وهذا هو.. وليس عليه أحد الآن.
لذا سيكون من الضروري أن أذهب بنفسي لاحركه من
مكانه. هل ترغبين في المجيء معى؟

وقف ينظر إليها بسخرية وكأنه يقول لها أنك لن
تجروئي. فهزت كتفيها دليلاً عدم الالتراث وقالت:
ولماذا لا؟ فالشئ الوحيد الذي يمكن أن أفعله عدا هذا
هو الجلوس والانتظار. ولا أحب الانتظار.

لا.. أذكر هذا جيداً. سأحمل لك أوراقك.. هل هي جافة؟

أفكارى.. أظن أن على إلغاء عملى اليوم.

وشاهدت بسمة دانييل تتلاشى ليحل محلها إبتسامة
مختلفة وهو ينظر إلى وراعها، وأحسست بأن بيذرو خلفها
حتى قبل أن يتكلم:

سأساعدك أنسة ماكدونالد. (المركب القذر) لى
وسأحرركه من هناك.

لا حاجة لأن...

فقطاعها بصوت كالفولاذ، ناصحاً:

دعينا لا نبدأ اليوم بما أنهينا به الأمس. فصبرى ليس
دون حدود. ولست معتاداً على النساء الناكرات الجميل.
سأحرك المركب من مكانه في الميناء. إلى الخليج المقابل.
شكرا لك.. ولكن هذا غير ضروري. بإمكانى الانتظار
ليوم آخر. فليس فى نيتى التسبب بأى مشكل لك.
ونظرت إليه ببرود، لتجد عيناه السوداوان تحدقان
بها.. ويكتير من التوتر:

أنا من يقرر ما هو مشكل وما هو غير ذلك. فوقتك هنا

واستدار رأسه الأسود اللامع لسماع صوتها الملىء بالرهبة.
 إذن فهو ليس (مركباً قذراً)؟ هل أعجبك؟
 إنه جميل وماذا أستطيع أن أصفه أكثر من هذا؟
 إلا يملك السير جورج مركباً مثله؟
 لا.. فنحن نبحر في البحيرات، وأعني أنا نبحر حقاً..
 فوالدى وأنا لدينا زورق لكل منا نتسابق فيهما.
 صحيح؟ إذن أنت تعرفي كل شيء عن المياه؟
 وستهتمي بالسباق الأسبوع القادم.
 وقفز برشاقة إلى السطح، ومد يده لها، وأصبحت على
 السطح حتى قبل أن تدرك ماذا تفعل، وقد أسر لها
 اليخت، والرجل، وكلماته.
 وهل سيجري سباق؟ ولكنني لا أذكر سباقاً؟
 أنت لم تزوري كاراكو منذ فترة طويلة، خمس سنوات
 بالضبط.
 ونحن نجري سباقاً كل سنة، بين القوارب التقليدية
 للجزيرة. أنها موجودة في الخليج الصغير حيث سنذهب

لا .. أنها جافة كفاية للعمل عليها، وليس جافة كى
 تصطدم بساقك وأنت تحملها.
 لم يكن في نيتى صدمها على ساقى.
 والهقط الأوراق، وسار بسرعة، وكان عليها أن تركض
 لتلحق بخطواته السريعة، وأحسست بالخرج بعد أن وجدته
 يبتسم لنفسه. ستحاول جهدها أن تبقى هادئة، دمثة
 الأخلاق، وتبيهه عند حده.
 ها قد وصلنا.
 ورفعت رأسها لتجد نفسها أمام المركب المزعج.. ولكن
 كلمة مركب لم تكن تناسبه أبداً.. فقد كان يختأ طويلاً
 رشيقاً، أبيض اللون، لامع الفولاذ مصقول الخشب.
 وتمكنـت من رؤية داخل غرفة القيادة، وبدت الآلات فيه
 مكتملة ومعقدة وكأنها معدات طائرة. سطحه الخلفي،
 آخر صيحة في الفخامة، مقاعد وثيرة، ومقاعد نوم،
 طاولات زجاجية السطح، وسقيفة من قماش أزرق تمنع
 عن السطح نور الشمس الساطع. فقالت مذهولة:
 إنه جميل تماماً!

الآن. سأريك المكان.

وانشغل في فك الحبال.. ثم بدأ اليخت يتهدى متحرراً من المرسى، بينما توجه بيدهو ليدير المحرك، وأخذت لوسي تنظر إلى جدار المينا يبتعد تدريجياً.. ربما ما كان يجب عليها أن تأتي معه؟ ولكن فات الأوان للتراجع الآن. ووضعت أوراق رسم تصاميمها جانباً ثم تقدمت لتقف قرية وهو يجلس في المقعد الجلدي الفاخر أمام لوحة القيادة ويناور بمهارة ليخرج من المينا، ويتجه إلى عرض البحر.

لقد قلت أنتا ستدهب إلى الخليج الصغير!

لدى سماع صوتها القلق الرفيع، رفع نظره إليها، واحدة أخرى من تلك النظارات السوداء المليئة بالأسرار: نحن ذاهبان إلى هناك.. ولست أخطفك.

ولتكن استدررت نحو عرض البحر!

ظننتك بحارة... أتعتقدين أن من الصحيح الذهاب إلى هناك في خط مباشر؟ لابد أنك لاحظت الصخرة الضخمة

التي تقف كالحارس وسط المينا. وليس بإمكانى إصدار الأوامر لها بأن تبتعد عن طريقى.
بالطبع.. أنا آسفة. أعتقد أننى متواترة قليلاً.
لم يكن من الضرورة أن أخطفك فيما مضى. أذكر جيداً أنك كنت راغبة.
وارتفع الدم إلى وجهها، فأشاحت بوجهها عنه مقطبة.
أليس لديك أى شعور بالخجل؟
لا .. كنت أريدك. وإذا كنت تذكرين، لقد طلبت منك الرحيل معى.. ولكنك رغبت فى البقاء مع أنتي حذرتك.
لقد قلت أكثر من هذا.
أنوار الصباح الباردة تسبب الصحو لمعظم الرجال.
وماذا توقعت غير هذا؟ ألم تكن تعرف؟ وتصاعد الغضب وكأنه الأعصار داخلها فاستدار إليه بعنف.
ليس الرجال فقط سيد دى سانتانا. ولو أن عندك أى وخز ضمير فبإمكانك إسكاته.. فائت على كل قد صنعت معى معرفةً.. فهذا كان مقداراً له أن يحدث عاجلاً أم

وكانت قد نسيت أن المراكب الحديثة مجهزة ببحار آل..
وغرقت أصابعه في كتفيها، وكأنها تقطع لحمها. وصدق
بالفعل أن زمانها فوق الأرض قد وصل إلى نهايته.

مقومتها له كانت دون جدوى، فذراعاه من فولاذ
وكتأها قضبان سجن. وضيمها إليه بقوة، وتراجع رأسها
إلى الوراء بحدة حتى أنها ظلت أن رقبتها ستسقط من
مكانها. ولم يدم هذا سوى لحظة. ولكن في تلك اللحظة
احسست بالقوة الكاملة لغضب الرجل، وكأنه العاصفة البحرية.

عندما تركها كانت تهتز.. والرعب يملأ عينيها
الخضراوين. وحدق بها قليلاً قبل أن يدفعها عنه بقوة
جعلتها تتزحلق وتتكاد تقع.

وعاد إلى المقود وهو يقول:

حسن جداً.. لقد أنسينا شيئاً ما. فقد أصبحت إمرأة مبتذلة.

أنا لست كذلك!

الأميركيون يستخدمون إسمًا آخر لهذا الأمر. هذا لن
يدهشني.. ومع أن هذا لا يعنيني.. ولكنك ستتصرف في

أجلًا. وهذا شيء لم يكن غير عادي في أواسط الجامعة،
وأصدقائي يتمتعون بالاستماع إلى قصص مماثلة. رجل
كاربيبي وسليم.. لقطة. لقد كنت محظوظاً لفترة
طويلة، وهذا يستحق أن أخسر طهارتى لأجله.

ولثوانى.. صمت بيبردو، ولم ينظر إليها. وكان جسده
كالتمثال البرونزى، وعيناه جامدتان إلـى البحر. جموده
كان مخيفاً، وعندما تكلم كان صوته مخيفاً أيضاً، مما
جعلها تحس كم هما معزولان عن الدنيا فوق المركب... ثم
همس بصوت شرس:

قولي أي شيء آخر وسأقتلك.
في تلك اللحظات أمنت حقاً إنه قد يفعل.. ولكنه ألمها..
وهو يؤلها الآن، ولا تستطيع أن تمسك لسانها:

وماذا هناك لا أقول.. برنارد على كل الأحوال لا
يمانع.. حتى أننى لم أهتم بإخباره.. قد تكون أنت الأول
في حياتي.. ولكنك بكل تأكيد لن تكون الأخير.. فعندما
يحدث هذا لأول مرة...
وقفز نحوها كالنمر.. وجهه أبيض تحت بشرة ذهبية.

وهمست وهي ترتجف لرده المتعجرف:
أهذا ما تريده؟
فنظر إليها وضحك، وذابت نظرته الغاضبة لتصبح
ساحرة:
يا للطفلة السخيفه! أت لم تكبري أبداً. أنا أخجل من
غضبى منك.. هيا تابعى عملك، وقومى بتحقيقياتك، ثم
قدمى لي تقريراً.
أنا لست واحدة من تابعيك!
لا.. ومع ذلك فلليلة واحدة كنت عبدي. وذكرها
تخفف من انزعاجى. فتوقفى عن هذا الهراء وتقدمى إلى
هنا، ساريك المراكب.
ويقيت لوسي صامتة. ولكنها لا زالت ترتجف. ومع
ذلك فستحاربه. وبسرور سريع أحسست أنها قد أثارته،
وأثارت حذره. وسألها بعد أن تنهد:
لابد أن إمكانية صلح جديد قد هدا أعصابك. وأنا
مسرور. فأنا لاأشعر بالسعادة لوجود إمرأة تخاف منى

بأخلاق متمدنة من أجل سمعة جدك هنا. فصحته تقلقنى.
صحيح؟ أستطيع معرفة نوع قلقك.. أنت قلق عليه
لدرجة أنك أرحته من بعض أملاكه.. كم دفعت ثمن ذلك
المنزل والأرض المحيطة به؟
فاستدار إليها ببطء وابتسمة غريبة على شفتيه.
هذه صفة أعمال بين رجلين.. وإذا رغبت في معرفة
شيء فأسأله.
سأسأله.. لأننى أعرفك يا بيورو. فأمنت تسلب أى شيء
تريده.
إذن أنا بيورو الآن؟ وكما تعرفينى يا لوسي... أنا أخذ
ما أريد حقاً.. فقد أخذتك على الأقل.
وأنسكتها. ولكنها عرفت ما تريده معرفته.. إنه يأخذ
بالتدريج كل ما يملكه جدها. فقالت مهددة ووجهها شاحب:
سأوقفك عند حدرك.. ولا تظن أننى لا أستطيع!
هذه كلمات شجاعة.. ولكن لو أردت الاستيلاء على
كاراكو كلها فسأحصل عليها.

وصمتت. متأنفة على الطريقة التي أوصلها فيها إلى
هذا الاتهام الصارخ... فقال لها بنعومة:

ثم أنا مازا يا لوسى؟.. بعدها تركتك؟ وهل توقعت
مني أن أفعل عكس هذا؟ هل تمنيت أن أخذ لي مكانا
على سلم كليتك لأنظرك؟

لم أكن مهتمة. حياتي كانت دائماً مخططة.. ولم يكن
أى شيء يهمنى عدا فني. ومنذ خمس سنوات كان الأمر
مسيلاً لي طالما هو مستمر... فقد أطلقنى هذا في عالم النساء.

إنها توجه الضربة المؤلمة الآن لغوره الرجالى، كما
ألها تماماً. وبدا أن غضبه تحت سيطرة أسهل الآن. لأنه
نظر إليها وابتسم:

أنت فقط تخيلين أنك إمرأة.

حقاً؟ أعتقد أن فكرتك عن المرأة.. هي تلك السيدة
المهزولة التي تعيش معك فوق أملاك جدي؟
إنها أملاكي. أما بالنسبة لآلية، بلـ.. إنها إمرأة.
ومن الأفضل لك أن تقليها.

خاصة أنها كانت دون خوف وهي في التاسعة عشرة من
عمرها لترتmi في أحضانى.

أنا لا أخافك.. أما بالنسبة للموضوع الآخر، فقد
انتهى أمره. فلابد أن نموى كان متأخراً يومها!

صحيح؟ لا أستطيع تصديق هذا.. أنت وأنا عرفنا
بعضنا منذ النظرة الأولى، وأردنا بعضنا منذ النظرة
الأولى.. ولم يحدث/ أى تراجع بيننا منذ تلامسنا. ولم
تكون متواترة أو صعبة المنال معى. وقلت لي ما فى
ذهنك.. وكانت طبيعية كما نور الشمس. ودافئة كنسم الليل.
ولكننى كنت في التاسعة عشرة، ولقد كبرت الآن.. ولا
يمكن التأثير على.

لم تكوني أبداً سهلة التأثير.. كان ذلك نوعاً من ردة
الفعل التي جرفتنا معاً. وقد كنت كبيرة كفاية لتذوبى في
أحضانى. ولأن تتجاوزى معى، ناراً بنار.. أكثر مما
تمتلك أية مراهقة. ويباكمانى أن أجعلك هكذا الآن.. لو رغبت.
ويعدها أنت..

كأس للرابع. ولا أكره أن أحصل على بعض تذكارات
انتصار.

وأشاحت بوجهها عنه وهي تقطب.. لا تقوته أبداً أية
حيلة.. أهذا ما كانت هي عليه.. مجرد تذكاري انتصار؟

أنا مندهشة لأنك عملت في المركب لوحدك.. كنت أظن
أن واحداً من تابعيك يمكنه القيام بالعمل.

أنا أتبع القوانين. كل مشترك يجب أن يبني قاربه
بنفسه، فمن الطبيعي أن أبني قاربي، وكل القوارب يجب
أن تكون بنفس التصميم.

أنا أسفه... كنت فظة معك.. وطالما كنت هكذا، أظن
هذا مردك للغفران!

لا أظن هذا، فأنت لا زلت طفلة مبكرة النضوج.

أنا لا أقدر أحداً سيد دي سانتانا.. فأنا نسخة أصلية
بالكامل.

أوافق على هذا. لابد أن القالب انكسر بعد أن خلقت..
المرأة الطفلة ذات الوجه الملائكي واللسان اللاذع.

وحدقـتـ بـهـ بـصـمـتـ،ـ وـالتـوتـ شـفـتـاهـ بـسـرـورـ مـتـكـبـرـ
مـسـتـبـدـ،ـ حـتـىـ وـهـوـ لـاـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ..ـ يـاـ إـلـهـ!ـ كـمـ تـكـرـهـ!
وـتنـفـسـ بـعـقـمـ،ـ وـكـانـهـ يـسـتـعـيدـ رـبـاطـةـ جـائـهـ،ـ وـأـشـارـ بـيـدـهـ:
هـاـ هـوـ..ـ الـخـلـيجـ الصـغـيرـ حـيـثـ سـيـجـرـىـ السـبـاقـ..ـ وـهـاـ
هـىـ كـلـ القـوارـبـ رـاسـيـةـ بـهـدـوـ،ـ وـكـانـهـ تـسـتـجـمـعـ قـواـهـاـ
لـيـومـ السـبـاقـ.

هل هذا تكتيك جديد؟ حسناً.. بإمكانها أن تلاعبه
بأسلوبه. وتقـدمـتـ لـتـقـفـ بـقـرـبـهـ لـتـتـفـرـجـ عـلـىـ الـخـلـيجـ الصـغـيرـ
الـذـىـ يـقـبـعـ بـسـرـيـةـ مـاـ بـيـنـ تـلـيـنـ مـشـجـرـيـنـ..ـ وـتـابـعـ:
ذـلـكـ الـقـارـبـ لـىـ لـقـدـ اـنـتـهـيـتـ لـقـوىـ مـنـ الـعـلـمـ بـهـ.

وـهـلـ لـدـيـكـ قـارـبـ آـخـرـ؟ـ
ـ بـالـطـبـعـ..ـ فـكـيـفـ سـأـدـخـلـ السـبـاقـ دـوـنـ قـارـبـ؟ـ فـهـنـاكـ

تحرّكاتها. وتمتّنت لو أنّه يذهب ولا يعود!

عُرِفتَ أَنْكَ لَا تُسْتَطِعُ العِيشَ هُنَا بِشَكْلِ دَائِمٍ، أَنْهَا
جَزِيرَةٌ صَغِيرَةٌ وَهادِئَةٌ بِالنَّسْبَةِ لَكَ.. أَلِيْسَ كَذَلِكَ؟

لَدِيْ مَا يَكْفِيْ مِنَ الْأَثَارَةِ فِي حَيَاتِيْ دُونَ أَنْ أَتَمْنِي
الْعِيشَ هُنَا بِشَكْلِ دَائِمٍ. وَلَدِيْ شَقَّةٌ فِي مِيَامِيْ، مَرِيَّةٌ
وَلَكِنْ لَيْسَ حَقًا مَا أَحْسَسَ أَنَّهُ بَيْتٌ لِي. وَمِنْذَ مَاتَ وَالَّدِيْ لَمْ
تَتَحَلَّ لِيْ الْفَرَصَةُ لِأَزْوَرُ مَسْقَطَ رَأْسِيْ بُورْتُورِيكُو.. وَوَالَّدِيْ
هِيَ الَّتِيْ تَزَوَّدُنِي، إِنَّهَا تُحِبُّ كَارَاكُوْ بِالْفَعْلِ.

وَهُلْ لَدِيكَ أَمْ؟

أَجَل.. وَاعْذُرْنِي لِأَنِّي لَمْ أَقْلِ لَكَ هَذَا. وَلَكُنَا لَمْ نَتَاقَشْ
فِيْ أَمْوَالِ حَيَاتِنَا الْخَاصَّةِ أَبْدًا. لَقَدْ كَانَتِ الرَّغْبَةُ تَعْمِيْنَا.

لَدِيْ طَائِرَةٌ هَلِيُوكُوبِيْتَرٌ هُنَا. فَعِنْدَمَا قَدِمْتُ إِلَى كَارَاكُوْ،
مَكَانُ رَاحَةِ صَغِيرٍ لَكَ.. وَخَاصَّةً لِإِلَيَّانَ؟

إِلَيَّانَ هُنَا لِأَنِّي هُنَا. وَلَا تَجِدُنِي مَمْلُأً أَبْدًا. وَمِنْ
الظَّبِيعَيِّ أَنَّهَا تُفْضِلُ أَنْ تَكُونَ فِيْ مَدِينَةٍ مُثُلِّ مِيَامِيْ.
وَلَكُنَّهَا تَقْنَعُ بِالْأَنْتَظَارِ إِلَى أَنْ أَذْهَبَ إِلَى هَنَاكَ.

ولَا كُنْهُ قَلْبِيُّ الْوَحِيد

قال لها وهما يسيران عائdan إلى القرية:
الليلة سأطير إلى ميامي.

بكل بساطة تخلى عن كل التوتر. وقررت أن تفعل
مثله، فلديها أشياء أخرى تفعلها، ليس أقلها أن تعرف
سبب تأثيره على حياة جدها.

وكيف ستفعل هذا؟

لَدِيْ طَائِرَةٌ هَلِيُوكُوبِيْتَرٌ هُنَا. فَعِنْدَمَا قَدِمْتُ إِلَى كَارَاكُوْ،
ابتَعَتْ قَطْعَةً أَرْضَ خَارِجَ القرِيَّةِ، إِنَّهَا وَاحِدَةٌ مِنْ عَدَدِ
أَمْكَنَةِ مَسْطَحَةٍ. وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ عَلَىِ الْعِيشِ هُنَا دُونَ
هَلِيُوكُوبِيْتَر.. وَسَأَغْيِبُ لِأَسْبُوعٍ فَقَطَ.

من الواضح إنه يؤكد لها أنه سيعود ليراقب

تأخرت في الرجوع؟
لقد بدأت أقلق لتأخرك.

كنت أعمل يا جدي. لقد رأيته في وقت مبكر.. مركبه
كان يقف في الميناء.. وطلبت منه إزاحته.
إنه يفعل هذا بطيبة خاطر. أقول لك يا لوسى إنه منذ
قدم الجزيرة أصبحت حياتي أسهل. إنه يعمل معى،
أتعلمىن هذا؟ لديه ناقلة بترويل عدا ذلك المركب، ونحن
نعمل معا في اليخت بحثاً عن كنوز البحر.

تعملان معا؟

أجل.. ألا تظنيه مناسباً؟ يا طفلى العزيزة إنه أحد
أهم الرجال في منطقة الكاريبي.. ووالده مستشار لعدة
حكومات هنا. ولا أشك في أن بيبردو يعمل في نفس
السياق.. فإذا لم يكن مناسباً فمن هو المناسب إذن؟

والتفت عيناها بعيوني برنارد، يبدو إنه يعرف كل شيء
الآن. وذهبت ليلتها إلى الفراش متزعجة جداً. فقد كانت
تفكر كيف سيمضي الأسبوع قبل عودته. ووضعت

لقد وصلنا إلى البقعة التي كنت أعمل فيها شakra لك
على رحلة اليخت.

وانحنت له بأدب، وسارت مبتعدة وما ارتاحت كتفاها
إلا بعد أن ابتعدت عن أنظاره. وجلست لتبدأ الرسم،
ومضى عليها وقت متواتر طويل تنتظر فيه أن يصل
لينضم إليها.

ويقيت هناك إلى أن اضطررتها العتمة للعودة إلى
الفيلا. في الغد هناك أشياء أخرى تقوم بها. حتى أنها لم
تلحظ أنها جائعة. عادة كانت تأخذ الغداء في مطعم
صغير في ساحة القرية. ولكن موعد الغداء من اليوم دون
أن تلاحظه.. عندما وصلت كان الظلام قد خيم.. وجلست
مع جدها وبرنارد يتناولون العشاء، فسمعوا صوت طائرة
هليكوپتر في سماء الجزيرة الهدئة. فقال جدها:
هذا بيبردو مسافر.

أجل إنه مسافر إلى ميامي في عمل. لقد أخبرتنى هذا
الصباح.

وهل شاهدت هذا الصباح؟ لم تذكرى هذا؟ ألهذا

أتمنى أن يعود لأكثر من سبب. أريد بدء العمل.. وهو من سيأخذنا بمركبـه.. ثم أن السباق هو في الغـد.. وسيخسر سحرـه إذا لم يحضر بيـدرو. فهو الذي يبدأ به. وأتوقع أنه يكون هو الرابع؟

لقد أقيـم السباق منذ سـنوات، وربع مـرتين حتى الآن.. كان سيـكـبـ ثـلـاثـا.. ولكن حـصـلـ مـعـهـ حـادـثـ الـسـنـةـ المـاضـيـ، فـقـدـ كـسـرـ لـهـ شـرـاعـ.

أمر مؤسف! أظن أنه يبدأ السباق بنفسـهـ كـيـ يـتـمـكـنـ منـ الـرـبـعـ.

أنت مخطئـةـ! لقد كان هذا تقليـداـ قديـماـ منـ مـئـةـ سـنةـ. وـتـوـقـفـ لـأـنـ الرـجـالـ لـمـ يـعـدـ باـسـطـاعـتـهـ تـحـمـلـ بـنـاءـ قـوـارـبـ جـدـيـدةـ، وـالـصـفـارـ فـقـدـواـ الـأـهـتمـامـ بـهـاـ وـفـقـدـواـ بـالـتـالـىـ بـرـاعـتـهـمـ فـيـ صـنـعـ الـقـوـارـبـ. وـدـفـعـ بـيـدـرـوـ الـمـالـ، وـجـاءـ بـالـمـسـنـينـ لـيـعـلـمـواـ الشـبـانـ، وـهـمـ يـبـحـرـونـ بـهـاـ إـنـهـاـ مـهـنـةـ مـثـيـرـةـ. وـتـمـنـعـ الشـبـانـ مـنـ تـرـكـ كـارـاكـوـ. فـالـسـمـاءـ تـسـاعـدـنـاـ لـوـ أـنـنـاـ كـنـاـ سـنـعـتـمـدـ فـقـطـ عـلـىـ السـيـاحـ.. لـكـنـتـ أـنـاـ غـادـرـتـ الـجـزـيرـةـ.

الوسادة فوق رأسـهاـ وـغـطـتـ فـيـ النـومـ. وماـ أـنـ حلـتـ نـهـاـيـةـ الـأـسـبـوـعـ حـتـىـ اـسـتـعـادـتـ لـوـسـيـ طـبـيـعـتـهـاـ، وـعـادـتـ السـكـيـنـةـ إـلـىـ حـيـاتـهـاـ. فـبـوـجـودـ بـيـدـرـوـ بـعـيـدـاـ، كـانـتـ الـقـرـيـةـ وـالـمـيـنـاءـ، وـالـشـاطـئـ لـهـاـ.. لـتـمـتـعـ فـيـهـاـ دـوـنـ خـطـرـ.

ولـكـنـ جـدـهـ كـانـ سـاخـطاـ. فـرـسـومـاتـهـ الـهـنـدـسـيـةـ قدـ اـنـتـهـتـ وـهـوـ تـوـاقـ لـلـعـودـ إـلـىـ الـعـلـمـ فـيـ الـبـحـرـ، لـيـتـابـعـ أـبـحـاثـهـ. وـقـالـتـ لـهـ فـيـ صـبـاحـ أـحـدـ الـأـيـامـ: أـتـصـورـ أـنـ أـشـيـاءـ رـائـعـةـ بـاـنـتـظـارـ الـكـشـفـ عـلـيـهـاـ فـيـ أـعـماـقـ الـبـحـرـ هـنـاكـ. أـسـتـطـيـعـ التـصـورـ عـنـدـمـاـ تـهـمـ بـمـنـطـقـةـ مـعـيـنـةـ تـنـتـشـرـ الـقـصـةـ وـيـجـتـمـعـ كـلـ أـنـوـاعـ الـبـشـرـ عـلـيـهـاـ فـأـجـابـهـاـ:

هـذـاـ صـحـيـحـ. لـكـنـهـ سـيـتـلـقـونـ صـدـمـةـ إـذـاـ حـاـوـلـوـاـ هـذـاـ.. فـالـمـنـطـقـةـ تـحـتـ مـرـاقـبـةـ سـلاـحـ الـبـحـرـيـةـ، مـنـذـ حـصـلـنـاـ عـلـىـ تـرـخيـصـ.. حـسـبـ اـقـتراـحـ بـيـدـرـوـ. أـجـلـ.. أـتـصـورـ هـذـاـ.

لقد دهشت لبيعك ذلك المنزل والأرض التابعة له، لقد
 قلت مرة. إنك لن تفترق عنه.
 حسناً لقد قال لي بيذرو أنها فكرة جيدة، فلدي الكثير
 لأشغل نفسي به.
 توقعت هذا.. وأين وضعت المال؟ في جوربك القديم؟
 توقفت عن هذا! أنت تتصرفين مثل والدتك، مع أنها لن
 تقول هذا بهذه الروح المرحة.. لقد تصرف بيذرو بكل
 هذا. وأنا أستخدم أحد حساباته الآن.
 وأحسست بدمها يتجمد، وكادت تقفز من مكانها
 وما السوء في الحساب الذي كنت دائمًا تملكه؟
 لا يظنه بيذرو مناسباً.
 وفقدت القدرة على الكلام.. هل يستطيع الاستيلاء على
 شؤون جدها دون أن يهتم أحد؟
 . ولماذا تستخدم مرکب؟
 لقد بعث مرکبى. فأنا لا أحتاجه.. بيذرو دائمًا يأخذنا
 بمرکب وهو مريح أكثر.

وعبس في وجهها، وهذا أمر غير عادي منه:

يبدو أنك تحملين شيئاً ضد بيذرو، ولكن صدقيني أنت
 مخطئة. بيذرو يحبني.. ولا يحب رؤية الطرق القديمة تموت.
 ليس تماماً.. فليس من عادة الشرفاء في هذه المنطقة
 حب الفتيات الصغيرات ومعاشرتهن ثم هجرهن. وسيغير
 الجد رأيه لو عرف بالأمر.
 أنا آسفة يا جدي. أظن أنه أزعجني بطريقة ما.
 إنه رجل.

بل أن له نزعة ديكتاتورية. على كل من يحتاج إلى
 رجل، ما عدا أنت يا حبيبي؟

سيأتي وقت تغييرين رأيك فيه. وأنا مندهش لأن هذا لم
 يحدث بعد. فأنت جميلة للنظر، وحلوة العشر يا لوسى.
 فضحكـت، وقد اكتسـي وجهها لـحة جـادة:

توقف! لقد غمرتني بالأرتباك.. هل صحتك حقاً ملائمة
 للعودة إلى العمل. يا جدي؟
 وأكد لها بتصریم إنه كذلك. ولكنها لم تقنـع. وسألـته بلطف:

مضي!

ستبدأ العمل بتصميمات جديدة.. اليوم.

وستصل إلى عمق مشكلة جدها.

وكانت نصف نائمة عندما سمعت أصواتاً. فسارعت إلى تغطية نفسها متساءلة عنمن أتى به جدها معه إلى المنزل. وشاهدت برنارد يتقدم نحوها ورفيقه يرميها بعينيه السوداويين:

لم أسمع طائرة الهليوكوبتر عائدة.

ستصل الهليوكوبتر فيما بعد.. لقد كان من الضروري أن أحضر سفيننة الغطس إلى هنا، لذا عدت عن طريق البحر، فسنحتاجها الأسبوع المقبل. إذا كان جدك مستعداً. إنه مستعد.. لقد كان متوفراً هذا الصباح.. لقد انتهت خرائطه ولم يعد لديه ما يشغلـه.

ليس لديه ما يشغلـه؟ وأنت؟ هل انتهيت أيضاً؟

أجل... وأنا أحاول تقرير ما شفـعـله. على الأرجح سأعود إلى نيويورك.

ولم تكن بحاجة لأن يخبرـها من اشتراكـه، ولكنـه أخبرـها، وأحسـت أنها لم تعد قادرـة على البقاء حيثـ هي فخرجـت لتـرمـي نفسها في مـياه بـرـكة السـباحـة. ماذا ستـفعل حول كلـ هـذا؟ فـلوـ أنـ جـدهـاـ عـرـفـ ماـ يـجـرىـ حـقـاـ فـسيـتحـطمـ قـلـبـهـ. فـمـنـ الواـضـعـ إـنـهـ يـشـقـ بـبـيـدـرـوـ وـثـقـةـ عـمـيـاءـ، وـهـيـ لاـ تـسـتـطـعـ فـهـمـ السـبـبـ!ـ وـلـكـنـ، أـلـمـ تـفـعـلـ نـفـسـ الشـيـ يومـاـ؟ـ يـوـمـهاـ كـبـرـتـ..ـ كـبـرـتـ فـيـ لـحظـاتـ بـعـدـ أـنـ عـلـمـتـ أـنـ سـافـرـ عـائـدـاـ إـلـىـ بـلـادـهـ.ـ لـقـدـ أـرـادـهـ لـسـنـوـاتـ،ـ وـهـيـ قـدـ خـطـتـ بـكـلـ إـرـادـتـهـ إـلـىـ دـاخـلـ خـيـوطـ عـنـكـبـوتـ الرـغـبةـ.ـ وـهـذـاـ كـلـ شـيـ:ـ وـتـحـطمـ عـالـمـهـاـ..ـ وـلـأـسـابـيعـ كـانـتـ طـرـيـحةـ الفـراـشـ،ـ مـرـيـضـةـ.ـ وـلـكـنـهاـ قـاـوـمـتـ،ـ وـدـفـنـتـ نـفـسـهـاـ فـيـ فـنـنـهاـ،ـ وـتـسـلـقـتـ إـلـىـ المـزـيدـ مـنـ النـجـاحـ،ـ إـلـىـ أـنـ تـلـاشـتـ كـلـ المـرـارـةـ وـالـآـلـمـ.ـ وـلـنـ تـرـكـ رـجـلـاـ بـعـدـهـ يـدـخـلـ إـلـىـ حـيـاتـهـاـ..ـ وـأـدـرـكـ أـنـهـ كـانـتـ تـشـدـ أـصـابـعـهـماـ بـقـبـضـةـ قـوـيـةـ حـتـىـ أـنـ أـظـافـرـهـ غـرـزـتـ فـيـ رـاحـتـهـاـ..ـ

الـآـلـمـ يـعـودـ..ـ وـلـنـ تـرـكـهـ يـعـودـ..ـ

الـعـلـمـ....ـ بـهـذـاـ الطـرـيـقـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـتـغلـبـ عـلـيـهـ فـيـماـ

وجلس بيديرو إلى قربها بعد أن اعتذر برنارد وذهب.
فاستدارت إليه بغضب، ورمي بالكلمات بحدة:

ماذا تقصد بكل هذا؟

أساعد فتاناً، وأنا واثق أن مدبرة منزلي ستتأكد من
عدم تخريب صديقك الهبي للمنزل.

صديقى الهبي؟ لقد كان برنارد الصديق منذ دقيقتين،
رفيق الطيب!

أه.. لم أكن واثق منذ دقيقتين أنتى سانجح بما أريد.

حسناً، إذا كنت تتصور أنتى ساذب..

أنت لست ذاهبة.. لست مدعوة. صديقك هو من دعاك،
وليس أنا لذا كان من الخير أن رفضت. أريدك هنا. فيبعد
بضعة أيام ستجيئي معنا لتعطسـى فى البحر لأجل جدك.
وساكون معك.

لن أفعل وحياتك!

وقفـت واقفة، ولكنها سارعت إلى الجلوس ثانية بعد
أن أحسـت بعينيه تحرقـان جسدها العارـى إلا من البكـينـى

فوقـ جاماً ينظر إليها مستلقـة بالبكـينـى تحت
الشـمس: وسارع برنـارد ليقول:

ستفعلـين ماذا؟ إسمـعـى يا شـريكـتـى.. لقد أتـيتـ إلى هنا
بناء على الحـاجـك.. وأـنا مـرـتـاحـ هـنـا.. ولا أـرـيدـ الـذـهـابـ بـعـدـ.

وكـادـتـ تـقـتـلـهـ لـسـاعـتـهاـ ولـكـنهـ بـداـ مـعـتـداـ بـنـفـسـهـ فـقـالتـ:

إـبـقـ إـذـنـ. فـأـنـاـ وـاثـقـ أـنـ جـدـيـ سـيـتـمـتـ بـصـحبـتـكـ.

ولـكـنـتـ سـاـذـهـبـ إـلـىـ مـيـامـىـ، وـسـأـعـيـشـ فـيـ الشـقـقـةـ.

أـيـةـ شـقـقـةـ؟

واـسـتـنـدـ بـيـديـروـ إـلـىـ حـائـطـ الـحـدـيـقـةـ وـقـالـ:

فـيـ شـقـقـتـ.. إـنـهـ فـارـغـةـ إـلـاـ مـنـ مـدـبـرـةـ المـنـزـلـ التـىـ
سـتـكـونـ سـعـيـدةـ لـلـعـنـيـةـ بـبـرـنـارـدـ.

لـقـدـ عـرـضـ عـلـىـ بـيـديـروـ اـسـتـعـارـةـ شـقـقـتـ، لـمـاـ لـاـ تـائـينـ مـعـىـ؟
إـذـنـ هـوـ بـيـديـروـ إـلـىـ وـبـرـنـارـدـ، وـذـكـ النـاكـرـ لـلـصـدـاقـةـ
يـعـتمـدـ عـلـىـ عـدـوـهـاـ.

لاـ، شـكـراـ!.. سـأـبـقـيـ مـعـ جـدـيـ أوـ أـعـودـ إـلـىـ نـيـويـورـكـ.

الربيع. وأحسست بالألم في داخلها.. اللعنة عليه! ماذا
يحاول أن يفعل الآن؟

وقال ببرود:

ريما سأخذ معى إلى إليان هذه المرة.. السفينة كبيرة
انظرى إنها هناك ! اسمها (سي وايف) وبإمكانك إحتلال
ثلثها إذا أردت.

لا علاقة لي بالأمر. عندما سيبدأ جدي بالعمل
سأسافر. فلدى معرض أحضره هناك.

أجل.. دار أزياءك لا زال قوى السمعة، وهذا المعرض
هل سيزيد شهرة؟

ليس الأمر هكذا! أنا فنانة.. وكل ما أريده هو إظهار
أزيائي للناس.

يمكنك تنفيذ أزيائك في أي مكان من العالم، هنا،
ميامي، فوق السفينة، أنت تتعلقين بصديقك كثيرا.. هل
يساعدك نسيان أنك يوماً كنت ترغبين بي، وأنني أنا من
أمتلكتك؟

لا تقل هذا!

الذكرى في عينيك، وأنا في عقلك.. حتى ولو لم تكوني
بين ذراعي. أنك لم تنسى أبداً ما كانت مشاعرنا معا.
أنها ذكرى في كل نسمة هواء تتنشقها.

لقد نسيت تماماً.. وبرنارد هو أكثر من صديق،
وأظنتني شرحت لك هذا.

أجل لقد فعلت.. ولكن شرحه كان مختلفاً. إنه مجرد
شريك، أنتما تديران داراً للأزياء معاً. وهو ليس من
النوع المزدوج. وحتى ولو كان، فلوسي لن تلمسه.. أظن
أن هذه كلماته بالضبط. وبالطبع أنت تفهمينه أكثر مني؟
وأخذت لوسي ترتجف، وجف فمهما، فحدق بها بسعادة
ظاملة، ضحكته ناعمة وخطرة.

هل ذعرت يا لوسي؟ هل جعلتك السنين خائفة؟ أم أنك
لم تعودي معتادة على ذراعي رجل؟ لقد علمت، على
مسؤولية، برنارد أنك لم تتقابلی مع رجل أبداً. وأن كل
خروجك في المناسبات يكون ضمن مجموعة. فلا بد أنك
تبقين من يحبك مخيفاً تماماً.

وإذا لم تذهبى مع جدك سأجئ لأحضرك وأعلن لجدك
أنتا كنا عاشقين. ونحن نعيش هنا فى جزر البحر
الكاريبى وجدك الآن ينتمى إلى هنا أكثر من أميركا أو
بريطانيا.. وبعدها ستأخذ الأمور بالعنابة بنفسها.

لن تجرؤ!

لقد كنت لطيفاً معك. ولست أرى سبباً لأن أكون لطيفاً
بعد الآن، لقد قلت لي أن لك عدة تجارب مع الرجال،
والنساء المجريات لسن بحاجة للطف.

لا تحاول أن تقولى لي أنك لا زلت تحبني!
أحبك؟ لا أذكر أن مثل هذه الكلمة الغريبة صدرت
عنى! أنا راغب بك فقط!

ولكننى سأفعل ما أشاء.

ليس وأنا موجود.. فتاكدى من وصولك إلى منزلى...
سأتحول إلى مجرم إذا لم تذهبى.. وسيتحمل صديقك
جزء من غضبى.

وتتركها وانصرف دون أن ينظر إليها.

برنارد يعرف حياتى الخاصة جيداً.. وأننا أبقياها
خاصة قدر الامكان.

أظنك تكذبين.. وأظن أن حبيبنا واحداً كان يكفيك. لن
تكتشف الحقيقة أبداً...!

أنت مدعون إلى العشاء.. عند السابعة والنصف،
وستكونون هناك جميعاً..

وقف ليذهب في الوقت الذي خرج فيه برنارد إلى
بركة السباحة فنظر إلى لوسى فلقاً:

هل هذا أمر امبراطوري؟
ولم ترد عليه بل لحقت بيبيرو وفتحت باب سيارته قبل
أن ينطلق:

لماذا تريدين أن تذهب إلى منزلك الليلة؟
لدى أمور أتناقشها مع جدك. ولا أريدك لوحدهك مع
هذا الرجل.

نحن نمضى الساعات والأيام معاً.
حسناً لن نفعلى هذا بعد اليوم. حتى ولو كان شريكك!

هذه احتجاجات فارغة.. وأدب فارغ.. هذه الأشياء غير
ضرورية ببیننا .. لقد قلت لك هذا وأنت طفلة.

لم أكن طفلة! كنت في التاسعة عشرة!

صغيرة جداً.. ولكنك لست كذلك الآن. ولا لزوم
للظهور بأنك دافئة.. بإمكانك الآن النظر إلى (السي
وايف) بارتياح!

وأجتاحتها موجة من الخوف فقالت:

هل لنا أن ندخل؟

لا تكوني حمقاء. أنت لم تتنظري بعد إليها.. ما رأيك بها؟

ولم تستطع أن تكبح شهقة إعجاب وسرور، فهمس لها:
رأيت؟ لقد أعجبتك. أنظري إليها جيداً.. فلدي الطاقم
تعليمات بإطفاء الأنوار عند التاسعة. وما هذه الإضاعة
إلا من أجلك.

ولكن لماذا؟

لأسعدك.. لا يسمح لي بأسعادك؟

عندما وصلوا مساء، كان واضحاً أن الدعوة خاصة
بهم. ومن المؤكد أن تكون الوجبة مخصصة لمناقشة
العمل، وتمتنت أن لا تترك لوحدها مع إليان.

وتضبط نراعها حال أن شاهدتها، وقادها فوراً إلى الشرفة.
تعالى.. لقد قطعت وعداً. أنوار السفينة مضاءة و
(السي وايف) تشع الآن بالأنوار.

ولم يكن أمامها سوى أن تنظر بإعجاب إلى المنظر.
وهب هواء خفيف دافء، وأخذت خصلات شعرها فقال
بيدرؤ.

هذا الهواء إذا استمر سيزيد من سرعة قوارب
السباق في الغد... هل تشعرين بالبرد؟

ولم ينتظر الرد، وبدلأ من أن يعيدها إلى الداخل، خلع
سترتها ووضعها على كتفيها. وحاولت أن تخلعها:
أنا.. أنا على ما يرام.

كان فيها دفء، وأحسست بهذا الدفء. وفيها رائحته،
وعاودتها الذكريات حتى جف فمه.

تتذكرة ما جرى لها. ولكن عناقه أرجعها تماماً إلى الماضي. ورفض ذهنها أن يعترف بهذه المعرفة. فما اعترف به، هو الدفع.. وتلاشت إرادتها بالمقاومة وهي تحس بحرارته، وانزلقت ذراعه عن كتفيها إلى خصرها، وأمسك بيده الأخرى رأسها يشده إلىه. كل شئ كان صريحاً.. إنه بيبرو كما كانت تحلم به منذ سنوات.

وانزلقت سترته عن كتفيها، صلابتها جعلتها تعود إلى الواقع. هل جنت، وتصلب جسدها، وسحبت رأسها بقوة إلى الخلف فنظر إليها وقال بسخرية:

لقد عاودتك الذكرى.. لقد عادت المراة إلى ذهنك.
فلننضم إلى الآخرين إذن قبل أن يخرجوا للتفتيش عنا.
وأحسست بالخجل من تعاونها معه، وغضبت بمرارة.
وقالت بحدة:

الآن يمكن أن تحذرني مسبقاً عندما تقرر مهاجمتى في
المرة القادمة؟

أهاجمك؟ وهل كان هذا هجوم؟ إذا كنت تريدين أن
أتصرف بخشونة فانا قادر على هذا!

ومرت أصابعه على ذقنهما وأحسست بأن ذراعه تلف كتفيها. وأحسست بأن الخوف أخذ يتلاشى وفي مكانه أخذ يتصاعد نوع من التنويم، وكأنها تتوم مغناطيسياً. وقامت حالة: إنها.. تبدو كالبروش اللاماسي.. يجب أن ألقى عليها نظرةأخيرة.

تعالى معنا يا لوسى.. وستكونين جزءاً من الجوادر التي ستلمع في الليل.
أنا.. لا أستطيع.

أريدك أن تأتى وأنا معتاد أن أحصل على ما أريد.
فاحذرى يا لوسى.. أنا لا أقبل بكلمة (لا) كرد على طلبي.
ويبدون جهد، كان يشدها إليه، وفي الواقع لم تكن تعرف ماذا يجعلها تلتتصق بجسده القوى. وفجأة كانت مضغوطة عليه ولم يعد لديها الوقت لتقاوم أو تتنفس وشفتاه تطبقان عليها.

ولم يكن بتلك الوحشية التي مارسها على المركب.. بل كان بيبرو كما كانت تعرفه.. وكان عليها أن تثور، أن

هاك يا صغيرتى لقد عدت مرتبة من جديد.. ولن يشك
أحد بأنك أصبحت إمرأة، فلقد تركت الفنانة والطفلة
وراءك، وعدت إلى طبيعتك، وليس في عينيك سوى ذكرى
الجوهرة التي في البحر.

والتقى فور دخولهما إلى إيان التي بادرتها فوراً:
هل كان يرتك السفينة.. لقد شاهدتها بنفسى عدة
مرات وكنت على متنه كذلك، لذا فقد بريقها بالنسبة لي.
كم هذا مؤسف، لابد أن الحياة تصبح مملة عند فقد
الأشياء بريقها أنسنة... أنا لا أعرف أسمك بعد..

فرد عليها بيدهو بابتسمة ساخرة:

ظننت أنت قد تقعنين بمناداتها باسم إيان. فإذا كنت
تريدين الرسميات فإسمها السيدة ريكليس. وهذا إسم
ابن خالى، فهى زوجته وفي إجازة مرضية هنا، فنحن
عادة نعنى بأى عضو مريض من العائلة. ولكنها تحسنت
الآن، أليس كذلك يا عزيزتى؟

أجل يا بيدهو، والفضل لك.

أنا لا أريد منك شيئاً على الأطلاق!

ولكن ليس هذا هو الانطباع الذى أحسست به. على كل
الوقت كفيل بكشف الأمر.

لن يكون هناك وقت قادم. فانا مسافرة.

هل تهربين إلى أبيك؟ أنت لم تكبري أبداً إذن يا لوسي؟
إننى أعرف الذئب عندما أراه.. وماذا تتصور إننى
سأفعل هل تظن إننى سأسير إلى نفس الفخ بمحض
إرادتى ثانية. أنا سليلة عائلة اسكتلندية ولا نزال نحافظ
على التقاليد.

فلا تدخل إذن، فالاطفال لا يجب أن يبقوا في الهواء
البارد كثيراً.

وانحنى يستعيد سترته ثم ينفضها، فسارت لوسي
 نحو الأبواب تشعر بالتصلب من الانزعاج حتى أنها كانت
 لا تزال ترتجف. ولكن بيدهو أمسك بها قبل أن تدخل.

لحظة..

وأدارها لتواجهه وملس شعرها بيده قائلاً بسخرية.

إذن هيا بنا نأكل.

وأحسست لوسى أنها تخطت حدًا غير مرئي، خط عائلي لا يجب على غريب تجاوزه.. ومن الطبيعي أن يكون من المحرمات أن يكون له أية علاقة مع زوجة ابن خاله. وقاطع الجد أفكارها. السباق سيكون مثيراً. ويمثل هذه الريح ستكون السرعة عالية.

وأجاب بيدهرو:

هذا ما كنت أقوله للوسى.. و كنت ساقترح عليها أمراً قبل أن تصر على العودة إلى الداخل.

واستدار ليوجه الكلام لها:

أتسائل عما إذا كنت ترغبين في مساعدتي على الإبحار غداً؟

فاستدارت إليان إليه:

حبيبي السباق ليس لعبة! فشرفك في الميزان! ولن ترمي فرصة النصر بأخذك من هو غير قادر على الإبحار؟

ولكن لوسى ليست غير قادرة على الرغم من مظاهرها الحال. إنها تشارك في سباق القوارب في مياه أدعوها خطرة ومجونة.

ولكن هناك آخرون في ...

فقطاعها بحزن:

أنا أريد لوسى معى، وليس الآخرون!

وقالت له لوسى بحلوة حادة:

أنا لا أرفض أى تحدي سيد دي سانتانا، وساكون أكثر من سعيدة لأن أحبر الزورق معك. ولا أظنه يختلف كثيراً عن السباقات في البحيرات... وأنا مثلك، أسعى للاكسب.

هذا من حسن حظي إذن.

ولكن سباق واحد فقط.

فقال ساخراً.

بعينين مثل عيناك كيف يمكن أن تخسر؟

مرتاح فيلادان ستدذهب غداً.
 إذن لن أذهب، فتلك المرأة تجعلني أرتجف. ثم ما نوع
 الصديق أنا إذا لم أبق لأبهجك؟ أنت تبدين كجنية البحر
 فلك عينان خضراء وشعر متموج.
 وذكرتها كلماته بكلمات بيبرو، فأحسست بالقشعريرة.
 كم يا ترى يكون قلبها سالم عندما يكون بقربها؟

لو أن بيبرو يدفع إليان للغضب والغيرة فقد نجح
 تماماً.

وسارعت للقول بغضب ظاهر:
 حسناً أتمنى لكما الحظ. ولكن لسوء الحظ لن أكون
 هنا لأشاهد السباق فقد قررت السفر إلى بيتي غدا.. هل
 تقرضني الهليوكوبتر في الصباح يا بيبرو؟
 بالطبع يا عزيزتي. سأقتدك. ولكنني أعرف أنك
 تحبين مباحثي المدينة.. سأتوقع مجيئك في القريب العاجل.
 وتحول الحديث كله عن السباق.. ولاذت لوسى
 بالصمت.. فربما كانت قضيتها أكبر من أن تستطيع
 ابتلاعها..
 في الفيلا.. خرجت إلى الشرفة ولحق بها برنارد وقال:
 أعتقد أنك لاحظت أنه يريد التخلص مني؟ حتى أنه
 جرنى لأتحدث عنك كثيراً.. هذا الشيطان.
 لا بأس يا برنارد. قد أكون رقيقة القلب.. ولكنه قلبي
 الوحيد وأنا أحبيه جيداً. إذهب إلى ميامي وضميرك

جدى!

حظاً سعيداً لوسى..! وتدكري أنت الأقرب والأعز. فلا تخذليني. وكان الجميع يحدق بها ولكن النظرة الوحيدة التي كانت تهمها هي عيني بيذرو دى سانتانا.

عمت صباحا سنوريتا، هل ستبحرين مع السنورى دى سانتانا؟

وابتسם الرجال الواقفين هناك، وهزت لوسى رأسها مبتسمة لتحببهم.

أجل.. سأبحر معه.. وسأقوم بما أستطيع من جهد. إعترافها جعل العديد من الرجال يهزون رأسهم، وجلب العبوس غير الموفق من آخرين فالسنورى دى سانتانا يكسر تقليداً قديماً وبعنف بسماحة لأمرأة أن تساعده.

وقال أحد الشبان وهو يضحك:
عافاك الله سنوريتا، أنا واثق من الربح إذا.
لا تستعجل بشكرى.. فائنا لا أستسلم بسهولة.

أبداً لن أهزم

نسيت كل مخاوفها في الصباح التالي وهي تتجه مع جدها في سيارته وبرفقة برنارد إلى الخليج.. وبالرغم من ذلك فقد أحسست بزيادة في سرعة نبضاتها عندما فكرت بلقاء بيذرو ثانية في ضوء النهار.

ومع أن السباق قد استولى على كل تفكيرها، فلم يكن الربح هو السبب، بل مجرد المتعة. وهي تعلم أنها كالعادة ستغوض عن أي نقص في الخبرة بالحماسة، وهذه كلمات والدها لها عندما كانت تربح أي سباق.

وشاهدت بيذرو على الفور.. حتى بين عشرات الرجال السمر ذوى الشعور السوداء كان بيذرو مختلفاً. وأحسست بلحظة خوف، ولكنه جذبها إليه كالمغناطيس.

حسب ما ي قوله الرجال ستكونين إعاقة كبرى لي.
والأحظ أن الكثير منهم قد ابتهج بعدما شاهدك.

إذن علينا أن نمسح الإبتسام عن وجوههم.

كلهم راغبون بالفوز.. وديمتربيوس هذا سيتزوج في
الغد.. والجائزة ستكون مكملة لسعادته.

كم هذا مؤسف! سيضطر لأن يقنع بالعروس فقط.
يقولون إننى لست قوية للملاحة، وأن القوارب ثقيلة على..
هذا صحيح. على كل، لدى عضلات تكفى لاثنين..
فأطيعى أوامرى وتحركى بسرعة. فأنت بالنسبة لى مجرد
جالبة للحظ.

وشخصت أنظار الجميع إلى الصخرة العالية فوق
الخليج، واقترب شخص من الحافة فسألت:
من هذا؟

إنه العمدة ألا ترين شاريه الضخم.. أصمته فهو
سيعطي إشارة بدء السباق. ويجب أن تنطلق بسرعة.
وصاح العمدة بصوت تردد صداه في الخليج:

ولتكن إمرأة، ولذا فلست قادرة على التعامل مع
الراكب، إنها ثقيلة عليك.

فابتسمت وتحركت نحو بيبرو الذى كان يستمع إلى
الحوار وهو يبتسم. ورددت على الشاب وهى تأخذ يد
بيبرو لتقفز إلى القارب:

سنرى أيها الفتى!

ونظر إليها بيبرو باعجاب إلى أن لاحظ (الصندال)
الذى ترتديه فقال:

كان الأفضل أن ترتدى حذاء مطاط فهناك تحرك
كثيرا أمامنا وهذا الصندال يبدو رقيقا.

ورمت الصندال من قديمها ووقفت حافية:
ولكن قدمائى ليست رقيقة. فأنا معتادة على الحفاء
أكثر من أى شئ آخر. فإذا كان هذا قلفك الوحيد فانسى الأمر.
آه.. نعم.. الفتاة الحافية.. أنت كما كنت.

الإنسان سريع الإصابة دون حذاء لذا إحذر من أن
تدروس على قدمى. وستاندبر أمرى.

مرحبا لكم جميعاً!

ونظرت كل العيون إلى الصخرة وإلى نراع العمدة ترتفع. صوت رصاصة البداية كانت أعلى صوتاً مما توقعت لوسى. ولكنها كانت مستعدة.. فقد كان والدها خصم عنيد في السباقات.. ويداهما ممسكتان بالحبال بحزم الآن وهم يبحران خارج الخليج إلى المياه العميقه.

وعلى الفور علمت أن الرجال على حق، فهذا ليس بزورق سباق كالذى اعتادت عليه.. كان له التوازن والجمال الخاص به وما أن وصلا إلى الصخور العملاقة التي تحرس الميناء حتى كانت لوسى قد بدأت تعتمد على الزورق.

وكان على بيدرо أن يصدر الأوامر لها، وتحركت بسرعة وخبرة كما يتطلب العمل. مطلقة العمود الذى يرفع الشراع الأحمر. مبقية الأشرعة متوجهة مع الريح.. وحاولت أن تمد جسدها خارج المركب كما كانت تفعل بالزورق الخفيف لتعطيه التوازن، فصاحت بها بيدرو بصوت كالسوط:

لا.. لا لزوم لهذا، إطيعي الأوامر فقط.

فصاحت:

ذلك المركب ذو الشراع الأزرق يربح علينا.

إنه ديمتريوس. مصمم على الربح.

دعوه وشأنه، تحركاته خطرة، وجده لن يشكرنى لو ربحت السباق وأغرقت حفيته. إستعدى عندما أنا ديك.. فالرياح تتبدل، وسوف نشعر بها عندما نخرج إلى عرض البحر، قرب غرب الجزيرة.

وتجاوزا الميناء غير متتبھين للحشود هناك التي تحبيهما بجنون. ثلاثة قوارب كانت تتسبّق في المقدمة الآن. والثلاثة متوازنون مع بعضهم.

كان في بيدرو إرادة أبيها الصلبة.. وكان يلزم اليابسة في إبحاره، وعندما وصل إلى المياه المفتوحة، أقبل المد مسارعاً باتجاههما.. فصاحت بها:

الآن لوسى! هيا! أديريه!

وأطاعتھ على الفور، فأدارت الشراع الثقيل إلى الجهة المعاكسة. ثم انتقلت إلى الشراع الآخر بينما كان بيدرو

وشقيق زوجته القادمة يبحر معه.. لذا فشرفة على الملح.
وكذلك هي، فلو خسرا، فالرجال سيلومون بيدرو
لاختيارة إمرأة لتساعده. وسيتفضل بيدرو عليها، وهذا
ما لن تحتمله.

واستدار حول الجزيرة، وأصبح القارب الآن مخبئاً من
الريح، وانخفضت سرعتهما وكأن المركب توقف.

والتفت لوسي حولها وصاحت:
إنه قادم نحونا.

فهز بيدرو كفيه..

سيخسر سرعته هو أيضاً. ولن نخسر شيئاً.

ولكنها لم تكن تفكر هكذا فالمسافة بدت أقصر بكثير
الآن بينهما، ولاحظت أن الشراع يتراخي، فصاحت:
إبتعد عن خط الساحل... وستلتقط الريح أكثر!

ونزيد من المسافة؟ إصبرى أنسة ماكدونالد.

ولم تشعر بالقدرة على الصبر... فمن الصعب عليها
أن تبحر هكذا براحة أعصاب بينما هي تعرف أنها

يرسل القارب لينزلق بخفة وسرعة قرب الخط الساحلي،
يركب المد ويطير فوق موجاته وكأنه المتزلج فوق زلاجه.
وقفز بهما القارب إلى الأمام، لتبتعد المسافة بينهما وبين
الآخرين. ومن زاوية عينها شاهدت ديمتريوس، يلقط المد
بدوره، ببطء أكثر من بيدرو، ولكن بما يكفي لأن يقفز
قاربه وكأنه حيوان متواحش وتردت صدئ صيحة لوسي
المبهجة فوق الماء:

عظيم!

ونظر بيدرو إلى وجهها المتألق فرحاً، ثم أعاد انتباهه
إلى مهمته الخطرة... وطارت ربيطة شعرها، وأخذ يلوح
في الهواء، وخداماً بلون الدم المتواحش. وصاح بها:
يا طفلة البحر! إستعدى. عندما نستدير حول الجزيرة
سنخسر كل ما كسبناه من تقدم.. والآخرون ليسوا
أغبياء، وفي النهاية سيستفيدون من المد.

ليس أمامنا سوى ديمتريوس يقلقاً.. إنه ملتتصق بنا
كالصمع!
الرجل يفعل الكثير من أجل المرأة التي يحب..

ولكنى لا أستطيع! إذا كنت تظن أننى سأستمع إلى
هذا الهواء والكرباء الرجالى حول أن المرأة لا مكان لها
فوق القارب، فائت مخطئ!
لوسى!

ولكنها هذه المرة لم تستمع لتحذيره. فهى أيضاً تفهم
الريح وتعرف الأبحار. وأخذت تطير فوق المركب كالريح
نفسها.. تفرد هذا الشراع لتجتمع فيه آخر هبة ريح...
مصممة على تجاهل بيبردو إلى أن لم يعد يستطيع فعل
شىء سوى أن يساعدها. وكانت تميل بكمال جسدها
خارج القارب عندما قطع خط النهاية. ويداً لها الشراع
الأزرق للقارب الآخر وكأنه يسد عنها الرؤية..

هذا يكفى!

وأعادتها صيحة بيبردو إلى عينها، فغرقت في مقعد
في وقت كان المركبان يتهدان نحو الخليج الصغير
المكتظ بالناس. واستدارت لتلتقي نظرتها بعيني
ديمتريوس الشاب، لترى خيبة الأمل ممزوجة بالأعجاب.
وكانت ساقها ترتجفان من التعب عندما ساعدتها

بقاربها الصغير كانت ستخرج إلى عرض البحر تبحث
عن الريح. وامتدت يدها إلى الحبال، ولكن صيحة بيبردو
أوقفتها.. لابد أنه يعرف ماذا يفعل، ولقد كسب هذا
السباق من قبل. وعليها أن تكتب قلة صبرها.

وما أن ابتعدا عن الجهة المعاكسة للريح من الجزيرة،
وواجهها الريح ثانية حتى اكتسبا، وللحظات، فرصة
جديدة، ولكن ديمتريوس قلص المسافة ببراعة، ويداً لها
أن بيبردو لم يكن يحاول.. ويداً الخليج أمامها، فاستدارت
إليه غاضبة:

إنه يحاذينا تقريباً! ويمكننا اكتساب سرعة أكثر بعيداً
عن هنا! ماذا دهاك؟

يوم زفافه في الغد يا لوسي، وسيكون من الجيد له أن
يكسب ولو بتقدم شعره واحدة... وبإمكاننا بسهولة أن
نربح فائت أخف وزناً من مساعدته، وقاربى أفضل من
قارب.. وسيكون أمامنا وقت آخر للريح. وبإمكانى أن
أكون كريماً.

وقفت لوسي إلى العمل وهي تقول:

وتغلب الرجال في لعبتهم الخاصة؟
وقال بيبردو ضاحكا:
أنا لم أدعها بعد.. وسنرى ماذا ستفعل..
وتعالت الأصوات باللغة المحلية في حديث إعجاب عن
لوسي وأكد لها هذا انزلاق ذراع إلى خصرها ليمسكها
بقوة ويتقدم بها إلى حيث يقف جدها.
وأرادت أن تسحب نفسها من قبضته.. فتصرف
شويفيني منه ليس هوما تريده. ولكن ذراعه كانت دافئة
وثابتة وكان عليها أن تقاوم رغباتها الأخرى. وسألته
بهدوء بعد أن ابتعد عن الآخرين:
هل قلت الشئ المناسب؟
أجل يا لوسي. فأنت، وكما قلت أكثر من مرة،
شخصية غير عادية. لقد أرضيت كبريات الجميع..
والرجال معجبون ببراءتك وشجاعتك، وديمتريوس حصل
على جائزته، مع أنني لا أرغب في أن أواجه مثل ما
حصل ثانية.

بيبردو للنزول إلى البر... وقال العمدة بارتباك:
إنها المرة الأولى التي نحصل فيها على نهاية مبارزة
بمثل هذا التقارب من التعادل. فلست أذكر حتى منذ
الأيام القديمة أن هذا حصل... ولكن ليس هناك سوى
جائزة انتصار واحدة.
ونظر بيبردو إلى لوسي، وفي عينيه حيرة. واستطاعت
أن تشاهد الخيبة على وجه الشابة التي تتعلق بذراع
ديمتريوس. فقالت بصوت مرتفع واضح:
أظن أن علينا أن نعرف بالنصر للقارب الآخر...
فنحن قد حصلنا على حظ أوفر.. فانا لست برجل. وما
من شك في أنه لو أخذ السيدور دي سانتانا رجالاً مكاني
لكان خسر.
وتصاعدت أصوات الضحك الذي شارك فيه حتى
الكبار في السن. وهز بيبردو رأسه للعمدة وسروره باد
على وجهه.. وتلقت لوسي إبتسامة ونظرة اعتذار حزينة
من ديمتريوس. وقال:
ربما في الاحتفال الراقص الليلة بإمكانها أن ترقص

فتوقفت مستديرة لتواجده:
ولم اذا؟

ونظر إليها بجدية:

لقد عصيت أوامرى. فالأبحار فى مياه الجزيرة ليس
كمثل الأبحار فى مياه البحيرات. والقوارب لا تتعامل
معها كما الزوارق. وأنت لم تلاحظنى أنك فى النهاية كنت
معرضة للخطر. وصحىح أنك اجتذبت آخر قطرة من
السرعة فى المركب، ولكن من الصحيح أيضاً أنتا كدنا ننقلب.

بإمكانى السباحة!
لن تفعلى هذا ثانية!

ونظر إليها بعناد، وأحسست فجأة بعدم القدرة على
النقاش.. وارتقت يده إلى شعرها، وأرجعه إلى الوراء
عن جبهتها.

لقد خسرت ربطه شعرك الزرقاء يا عزيزتى... أنت
 مليئة بالحيوية أليس كذلك؟ أنت تعيشين كل لحظة من
 حياتك... متهورة، مصممة، متألقة، وكأنك تسيرين فوق

الريح.. ولو كنت دون مشاغل فى هذه الدنيا.. لجلست
أراقبك فقط.

أنا.. لا أريدك.. أأن .. تراقبنى...

ولكن أصبعه ضغط على فمها، ليذكرها بضغط شفتيه
فى الليلة السابقة، والليالي العديدة السابقة.

لقد فات الآوان يا لوسى. لقد لاحظت كل شئ: وكذلك
عدت أذكر كل شئ.

وأخذ صدرها يعلو ويهدى تحت قميصها (التي
شيرت) ولاحظ بيده ذلك أيضاً.. فقال ويده تشتد على
خصورها وسائلها بنعومة:

هل أنت بخير؟

أجل.. ولكن.. جدى...

لا تخافى الآن. سأمضى بعض اللحظات مع جدك ثم
أخلصك من صحبتك.

وسارع برنارد لأنقاذها، وهو مليء بالآثار:
كنت رائعة! سأنشر هذه القصة فى كل المدينة عندما نعود!

وكان صوت بيبرو الذى أجاب.. فاستدارت لتجده
جالسا فى الظل.. وأضاف:

الأفضل أن تضعي شيئا يغطى ذراعيك لأن الليل بارد.
كان يرتدى زيا لم تشاهده فيه من قبل: بنطلون أسود
ضيق يدخل عند الساق تحت (جزمة) جلدية عالية.
وقميص حريرى أسود يتتصق بجسده، ولاحظ دهشتها فقال
الليلة مناسبة لأرقاء الأزياء الوطنية.. وهذا بلدى.. فإذا
ظهرت بشباب عاديه سيعتبر ذلك إهانة، إلا يعجبك؟
أنت .. تبدو.. رائعا.. غير عادى.

والتفت إلى جدها:
هل أنت جاهز يا جدي..
جاهز كما دائمًا!

واستدارت إلى برنارد.. يبدو إنه اعتاد النظافة هذه
ال الأيام.. قميصه الأزرق يبدو مرتبًا على بنطلونه الجينز،
وللعجب، كان هذا نظيفاً أيضًا.
انتظر.. لدى شيء لك.

وضحك لوسى، وقد سرها الخلاص من بيبرو مع
أنها لم تتخلص بعد من إثارة السباق.

وهل هذا سيجعلنى أكثر شهرة؟
حبيبى.. لطالما كنت مهتما بك، ولكنك لم تلاحظى هذا أبدا..
آه.. لابد أنك ت يريد أن تكوني فمسانك.
والتفت لسماع صوت بيبرو يقول.

كونى جاهزة عند السابعة، أدعوكم جميعا إلى
الاحتفال.. سأحضر إلى الفيلا، وربما يأخذنا جدك إلى
الشاطئ..

واستدارت بقوة متمسكة بذراع برنارد.. لن تقع تحت
سيطرته ثانية..

عندما نزلت من غرفتها، وال الساعة تجاوزت السادسة،
كان جدها وبرنارد جاهزين أيضاً. فاستدارت على
نفسها، دون أن تلاحظ وجود بيبرو هناك، وقالت بمرح:

هل أنا جميلة!
رائعة!

و غابت في غرفتها لحظات و عادت بوشاح يرافق:

إذا كان الرجال سيبذون غير عاديين الليلة.. فلا
أستطيع أن أترك مختلفاً عنهم!

أستطيع أن أرى هذا.. ولكن لا تلتقطي بي مع ذلك يا طفلتي، واهتمي بنفسك.. إنه وقت الخيار، وأنا لن اختار أن أسحق تحت إحدى هذه القبضات السمراء.

وأعاد هذا لوسى إلى إدراك ما تفعله، فخجلت من نفسها. أجل.. ستتعامل مع بيدهو بنفسها!

والتفت بيده من مقعده الأمامي قرب جدها في السيارة ليقول لها:

هذا الصباح أذهلتكم ببراعتك في الإبحار. فهل ستذوخيهم هذا المساء برقنك؟

لَا أَعْرِفُ كِيفَ أَرْقَصُ.

فقال لحدها:

مندهش لماذا لم تعلم لوسى الرقص بعد.

باستطاعتها أن ترقص جيداً. عندما كانت صغيرة وكانت تزورني هنا كانت تلعب مع الكثير من أترابها في الجزيرة، وشاركت في العديد من الاحتفالات. ولا أظن أنها نسيت.. ربما تكون تعيّة، فقد نامت طوال بعد الظهر.

فقالت لوسي بحدة:

شكرا لك يا جدي.. بامكانى الاستغناء عن الاستمتاع
الى، هذا الحديث الرجالى. فلست بلهاء!

ولكن هذا صحيح يا عزيزتي! أنت تجيدين الرقص..
ولقد نمت طوال بعد الظهر.

وہمس برنارد

إنهما بنمران عليك يا طفلتي.

وصمت فجأة بعد أن رمقته بنظرة غاضبة، ولكرته بحدة في ضلوعه.

تحدق بعينيه السوداويين.
 بيذرو.. أرجوك!
 وتحرك إصبعه إلى فكها، وابتسمت عيناً:
 هل أنت خائفة مني؟ لماذا؟
 لست خائفة! ولكن مثل هذا التصرف يزعجني.. إنه
 تصرف غير لطيف.
 ولكنني لست لطيفاً. ألا تعرفين هذا؟ أنا دون أخلاق..
 وأخذ ما أريده بالقوة. وأنا خطر ويجب تجنبي..
 أنت تصف نفسك بشكل جيد.
 وأنت.. ألا أزال أجعلك ترتجف؟ لماذا لا تستسلمي لى
 بكل بساطة؟
 وأقبلت مجموعة فتيات لتقف قربها:
 أترقصين سنيوريتا؟
 هذا يعني لها الخلاص، وهذا أمر جيد. وجلس بيذرو
 وعيناه تلمعان في النار يراقبها، وبعد قليل كانت ترقص

وكان فعلا حفل للذكرى.. فقد كانت الموائد معدة بعيداً
 عن المقاعد، وذهب الجميع لإحضار طعامهم، وليجتمعوا
 مجموعات صغيرة ويتناولوا طعامهم. واجتمع الأصدقاء
 للحديث والضحك والتمتع. وكان الظلام شاملاً ما عدا
 نور النار المتقدة في الوسط. وجلست مع بيذرو وجدها،
 وأخذ الناس يتدققون إليهم، ويداً واضحاً كم يحب الناس
 بيذرو وجدها وكم يحترمونهما. ومال إليها بيذرو بعد أن
 ذهب جدها ويرنارد لإحضار الطعام وقال مشيراً إلى صحته:
 هل جربت أكل هذا؟ إنه لذيذ.

لست جائعة:
 حاولى أكل قطعة صغيرة.
 وقبل أن تستطيع منعه وضع قطعة في فمهما فابتلاعتها
 بسرعة.. وقال لها:

أظن إننى لا أعرف كيف أصوب. فهناك القليل منه
 على شفتيك. ومد باهمه ليمسح شفتيها، ثم اتسعت
 لسنته، وأخذ إصبعه يمر على طوال فمهما. وكان بإمكانها
 أن تبعد رأسها عنه، ولكنها أحسست ثانية إنها منومة،

فى وسط النساء.

جدى قد ذهب سنيوريتا. لقد ذهب مع ذلك الشاب
الذى يقيم معه. وقال أنك ستذهبى إلى المنزل مع السيد
دى سا نتانا.

إذن لقد هجرتها. وكان برنارد جادا عندما قال أن
عليها التعامل مع بيبرو بنفسها. فقالت للمرأة:
شكرا لك. أعتقد أنه أحس بالتعب.

ولكن ليس هناك مجال لأن تذهب مع بيبرو. فمن
الواضح أن جدها أخذ السيارة وهناك مسافة طويلة
لتسيير معه. وأى شئ قد يحدث فى طريق العودة.
وابتسمت المرأة المسنة وقالت:

البعض منا لم يعد صغيراً يا عزيزتي.. والعمر قد
تقدما أخيراً للسيد براونتنغ.. ونحن سعداء لرؤيتك، مع
أنك تحدين رجالنا في لعبتهم الخاصة. ومنذ أن أتيت
هنا، تحسنت صحة السيد براونتنغ، وبدا شاباً أكثر،
ومن الجيد أن يكون حول الإنسان عائلته، صحيح؟

ووافقت لوسي، وهي تشعر بالذنب، فقد كانت لتتها

بعد عدة محاولات فاشلة، استعادت براعتها فى
الرقص. حتى أنها نسيت بيبرو وجدها وبرنارد وأخذت
تمايل وتقفز مع الراقصات، والمجموعة تدور حول النار.
وازدادت سرعة الموسيقى وقوتها فجأة، ولاحظت
لوسى عندها أن الرجال انضموا إلى الراقصات اللواتي
كسرن حلقتهن ليفسحن مجالاً لهم. ولم يكن عليها أن
تنتظر كى تعرف أن يدها الآن قد أصبحت متشابكة بيد بيبرو.
ورفعها فى الهواء، يداه ثابتتان وقويتان حول خصرها
النحيل، يستدير بها ويعملو ويهبط حسب النغم:
إذن أنت تعرفين كيف ترقصى؟

لم يكن بيبدو لها الآن وكأنه نفس الرجل الذى طارد
 أحلامها طوال خمس سنوات.. إنه الآن لا يشبه البشر،
 كله قوة، يضج بالسعادة لعلمه بتائيره عليها.. وما أن
توقف الرقص حتى كانت لوسي بالكاد تستطيع التنفس.
وقالت لها إمراة مسنة:

أنوى الزواج منك

لم تبتعد لوسى كثيرا حتى لحق بها بيذرو. وأمسك
بذراعها وأدارها، فحاولت أن تتجاهل تسارع دفاق قلبها
وهو يصيح بها.

ماذا تظنن نفسك فاعلة؟

عايدة إلى الفيلا، فجدى وبرنارد عادا منذ فترة
قصيرة.

أعرف هذا. وعرضت أن أرافقك كي يتمكنا من
العودة. فجك تع وصديقك بدا ضجرا من كل هذا.
ولهذا أنا عايدة.

وهل أنت عايدة لوحدك؟ لقد أمضيت كل الصباح
تجذبين الأنظار إليك، وفي المساء رقصت أمام العديد من

تحاول أن تقرر السفر، ولم تأخذ رغبات جدها بعين
الأعتبار..

ونظرت إلى النار.. كان الرجال يرقصون لوحدهم..
واللحظات اجتذب منظرهم الرائع نظرها.. وذهبت المرأة
العجوز..

ووقفت لوسى لوحدها عند طرف نور النار، ورجل
تجده جذابا..

رجل تعرف إنه قاسى الفؤاد تماما.. وقف بدوره
يراقبها باهتمام زاد كثيرا من مخاوفها.

وهربت.. وأخذت تركض نحو الممر الرملى الضيق
الذى يصل بين الخليج والمينا... وهربت.

اوه.. توقف عن النباح غفى وجهى.. فلست بحاجة
إليك لتجيئه التائب لى.

وجلست على الرمال، وفقلت قدمها لترى ما الذى ألمها،
فقال لها بحدة:
ومن غيرى قادر؟

وكانت النار والأحتفال قد ابتعدا عنهم.. والقمر قد
تصاعد، وأخذت تتفحص قدمها غير قادرة أن ترى ما
الذى ألمها.

تعالى هنا! أنت مثيرة للغضب، أتعلمين هذا؟ كبرك
في السن ما زاد عليك سوى هذا. وأنت الآن تغضبين.
وأنمسك بكاحلها ورفع قدمها إلى ركبته، وأخذت عيناه
تبخثان في جلدتها، وأصابعه تتفحص، لساته ناعمة على
الرغم من كلامه الخشن. ثم تقم:
إنها قطعة من صدف، حادة كالزجاج.

ربما على أن أتعلم ارتداء الحذا.. هل الجرح ينزف؟
وتتألم وهو ينزع الصدفة المكسورة من قدمها. وقال:

عيون الذكور المعجبة، وأنت الآن تتجلين وحيدة في
الظلام؟ إما أنت مخبولة أو أنت لا زلت ساذجة جدا!

أنا لست أى من الإثنين.. أنا فقط ذاهبة إلى المنزل..
وأنا قادرة تماما على شق طريقي إلى هناك بنفسي
شكرا لك.

وأنت قادرة تماما أن تجعلني نفسك عرضة للهجوم!
ماذا.. هنا.. على هذه الجزيرة.. وبوجود كل هؤلاء
الرجال الشرفاء؟

ليسوا كلهم شرفاء.. وخاصة إذا أثيروا.
لست بحاجة لا للحماية ولا للأهانة. لقد أفسدت على
الآن يوماً رائعاً. فشكرا كثيرا لك!.. اوه..
وأفلقت الصيحة بعد أن أصاب قدمها شيئاً، فسارع
بيدرو إليها:

ماذا فعلت؟ أين حذائك؟
لست أدرى.. ربما تركته في سيارة جدي.
وربما سترديه فتاة لا قدرة لها على شراء حذاء في الغد!

أراها.. أتمنى أن أرى الفتاة التي ضاعت مني.
 تلك الفتاة ماتت منذ زمن طويل يا سيدي. أما أنا
 فكترت... ويبدو أننا كنا هنا من قبل. فهذا الحديث
 مألف لدی بشكل غريب. ربما من علينا من قبل؟
 وربما أنت مختبئ فيه يا لوسي. وربما على أن أحاول
 إخراجك منه؟
 ساعود الآن إلى الفيلا.
 ولكنه لم يترك قدمها بل أخذ يمرر أصابعه عليها:
 وهل بإمكانك السير؟ أم أحملك؟
 لا... لن تحملني!
 وأحسست بالخوف، وأحس بخوفها وأصبحت لسته
 ناعمة أكثر:
 لقد حملتك من قبل وكنت يومها حلوة.. لقد حملتك إلى
 فراشي.. ولففت ذراعيك حولي ورفضت الأفتراق عنـي..
 أتذكريـن يا لوسي؟
 لست أذكر. ولقد قلت لك ما كان يعني ذلك لي. لقد

لا أظن أنها ستترى.. هل تخافين من الدم؟
 عندما يكون دمي فقط. أنها لا تزال تؤلمـي.
 بالطبع ستؤلمـك! أنا لست بساحر. ولو كنت أعلم
 بنواياك لكنت أمرت أن يكتـس الرمل أمامـك.
 أستطيع تدبـير نفسـي دون سخريـتك ودونـك. ولماذا أنت
 غاضـب هـكذا؟
 ربما تعبـت من محاولة فهمـا بيـتنا. وربما تعبـت من
 محاولة اكتـشاف أية لـعبة من المفترضـ أن تكونـي تـلعبـينـها.
 فهـذا أمر صـعب عندـما يكونـ المرء لا يـعـرف قـوانـينـ الـلـعـبةـ.
 ويدـا غـاضـباً أـكـثـرـ منـ أيـ وقتـ مضـىـ. وتحـركـتـ لوـسـىـ
 إلى الـورـاءـ فوقـ الرـمـالـ النـاعـمـةـ... وقـالتـ:
 لـستـ أـدـرـىـ ماـ تعـنىـ.
 وحـتـىـ لوـ فـهـمـتـ ماـ يـعـنـيهـ، فـقـوـانـينـهـ تـخـتـلـفـ عنـ قـوانـينـهـ.
 أـلـاـ تـدـرـيـنـ؟ أـنـتـ لـسـتـ الفتـاةـ المـسـتـقـيمـةـ التـىـ أـعـرـفـهـاـ.
 أـحـيـاناـ أـرـىـ فـيـكـ تـلـكـ الفتـاةـ، وـلـكـ قـبـلـ أـنـ تـطـفـواـ، تـقـومـ
 هـذـهـ اللـوـسـىـ الـجـدـيـدةـ بـطـمـسـهـاـ ثـانـيـةـ. وـكـمـ أـتـمـنـىـ أـنـ

على أن أذهب.
 لوسى!
 وأدارت يده القوية وجهها نحوه مع أن جسدها كان
 يبتعد عنه.
 أنت لم تقولى أنك تريدين الذهب.. فهل أخيفك?
 أنا أريد الذهب!
 لماذا أخيفك؟ لم تكوني أبدا خائفة مني حتى عندما
 كنت في التاسعة عشرة.
 كنت طفلا، كما تستمر في القول، والأطفال يفعلون
 مثل هذه الأشياء ولهذا يحذرونهم دائمًا بأن لا يتقوا بالغرباء.
 ولكننا لم نكن غرباء، كنا نعرف بعضنا.. كما نحن الآن.
 وانحنى فوقها يقبلها:
 أنت تشيرين البهجة في نفسي، وقد عادت دافئة بين
 ذراعي، كما أذكرك تماماً. أنت كافروديت دافئة ومثيرة،
 ولم تتغير بل أصبحت أكثر نضوجاً. فتوقفت عن الاختباء
 عن.. فنحن مهمان في حياة بعضنا.

كان مجرد محاولة تعرف على الحياة.
 لا أعتقد هذا يا لوسى.. وكلى إيمان أننى الوحيد
 الذى عرفتني.
 كم أنت واثق من نفسك!.. لقد نسيتك تماماً.
 على إذن أن أنشط ذاركرتك.. وأظن أننى قد بدأت
 أفهم لعيتك.
 وحاولت المقاومة ليتركها.
 أيمكن أن نذهب الآن؟
 ليس بعد يا لوسى. لم أذكرك بشئٍ بعد.
 وتحرك بسرعة قبل أن تلاحظ، وأصبحت بين ذراعيه..
 عيناهَا واسعتان مرتبكتان على وجهه، وهو يلقيها فوق
 الرمال الدافئة. وأخذ يمرر أصابعه فوق رموشها الطويلة:
 لقد رغبت في فعل هذه منذ كنت صغيرة.. فعيناك
 ورموشك تذهلني بجمالها، وكنت أتوّق للمسها لأعرف ما
 إذا كانت حقيقة وبهذه الكثافة والجمال...
 وتمتّمت:

بيدرو! أرجوك .. لا .. !

أنت لي! وتعلمين هذا.

وأحسست بالواقعية تهرب منها، أنها هنا فوق الرمال الدافئة، والبحر يتمتم من حولها بلطف، وضوء القمر يقوى عند كل لحظة.. والأمر خطير. وقساوة هجره لها لا زالت تأسر قلبها، ولكن بمرور كل يوم كانت قبضة الألم تتلاشى، وصاحت به:

بيدرو!

فتتجاهلها ورفعها عن الرمال إلى ذراعيه، وأمسكت يده برأسها وقال هامساً:

تعالى إلى.. فأنت لست على وشك التعرض للوحشية! رقته كانت تسلبها إرادتها وأحسست أنها تعتمد بالكامل عليه. وأن مشاعرها طوع أوامرها. أنها الرغبة من جديد، وعقلها يعرف هذا، ولكن لم يعدله سيطرة على الأطلاق. وصاحت دونوعي وكأنها آخر فرصة ل تستعيد سيطرتها على نفسها:

توقف! أرجوك توقف!

وحاولت يداها أن تدفعا أصابعه بعيداً عن جسدها، ولكن يداها كانت ضعيفتان أكثر من أن تفعلا شيئاً. وانطلقت منه ضحكة منخفضة، سوداء بظلمة الليل.

سأتوقف بالطبع! فأنا أعلم أنك سوف تقوميني.. مع أنك ما عدت تملkin طهارة تدافعن عنها.

طهارتى لم تمنعك من إغوائى قبلأ. ولا منعتك من المحاولة من جديد!

تلك الذكرى جلت الدموع تتدفق من عينيها إضافة إلى صدمة المعرفة بأنها لا زالت ترغب به. فهى لم ترغب فى أحد منذ ذلك الوقت. فى الماضى كانت مجرد كلمات، ولكن مع وجود بيدرو بقربها، فهمت ما تعنى تلك الكلمات. وفهمت أيضاً لماذا ترمى النساء أنفسهن عليه.. وها قد عاد من جديد ليؤلها. وأدار لها وجهها نحوه بحدة ليقول بصفاقه:

أنت تريدينى أن أغويك.. ولكنى لن أفعل، مهما كنت ترغبين.

وهما يصعدان درجات السلم من الناحية الأخرى
للميناء قال لها:
ستذهبين معنا إلى الغطس.
بل أنتي السفر. بعد الغد.
أهربى.. وسائلحق بك. فكله سواء لدى. فلدى مال
يكفينى لالحق بك حول العالم.
لا تكن سخيفا. أنا لا أهرب.. ولن أهتم بالهروب..
فالآثار تبقى طالما هي مستمرة. وأنا فنانة وسأبقى
مكذا.. وأى أفكار غريبة بإمكانك الاحتفاظ بها.
ونظرت إلى الماء حيث رسم القمر طريقاً مضيناً،
فأشارت إليه:
بإمكانى السير على هذا المرء الفضى، وأصعد إلى
السماء، وأفعل ما أريد. أنا أعيش لفنى ولا شىء غيره.
بإمكانك الارتفاع عن الأرض، وبإمكانك الطيران إلى
القمر، ولكنك ستبقين مرتبطة بخيط قوى، أقوى من فنك
مهما بلغت من شهرة.. فأننا أنتي الزوج متنك!

فأدانت وجهها عنه وقد غمرها الخجل.
لا أرغب بك أبداً! ولا أريده! ولكنك أقوى مني جسدياً،
وهذا كل شئ. ومن الأسهل أن أستسلم.
وهل أفهم من هذا أنك كنت ستسسلمين بنفس
السهولة لو أنك قابلت أى رجل راغب بك فوق هذه الرمال
المهجورة؟ وأنت، من حاربت جهداً لكسب سباق كنت
أنتي أن أخسره؟
هذه الملاحظة أعادتها للحياة. ونظرت إليه بحد:
أيها ال...!
وكان يضحك عليها، ليس على بؤسها بل على غضبها.
أرأيت؟ الآن أعرف كل مقاييس لعтик... وسائلعبها
أفضل منه، ومن الخير لك أن تتخلى عنها. هيا الآن..
سأوصلك إلى المنزل.
وقف ثم جذبها لتفق. وتمتم..
أنت إمرأة يا لوسى.. لقد كبرت... وهذا يستحق كل
هذا الانتظار.

هل ستكتذبين؟
 أنا أعرفك تماماً وأعرف ماذا تريدين.. فلم أولد بالأمس!
 وماذا أريد؟ لو أردتني لأصبحت لي كما حدث من قبل.
 وماذا ستنقول إليان حول هذا؟
 وأنزلتها بيديرو على قدميها في الماء وقد تغيرت تعابير وجهه
 أفضل أن أظن أنك لا تعرفيون عمق هذه الأهانة.. إليان
 هي زوجة ابن خالٍ! وكانت هنا لأنها مريضة. ولقد
 شرحت هذا لك!
 وهل تخبي خواتم زواجها في الرمال إلى أن تعود إلى
 منزلها؟ كم هذا أمر ملائم!
 إذن.. أنت عرفين غمق إهانتك؟.. السلام التي تصل
 إلى الفيلا هي هناك.. ولا أظن أنك ستتصابين بأذى.. لا
 شيء لا يستطيع لسانك اللاذع التعاطي معه.. وداعاً لوسى!
 من اليوم التالي ضجراً. خاصة وأن برنارد غادر
 بطائرة الهليوكوبتر إلى ميامي.. وأقبل جدها إليها وهي
 تقرأ كتاباً بعد الظهر وقال لها:

فجمدت مكانها، وأخذت الأفكار تتتسابق في دماغها.
 تتصادم مع بعضها.

أتظن أنني سأرمي نفسي عليك لأجل هذا بعد أن ..
 بعد.. أنك مجنون!

إذا كان يسعدك أن تظنين هكذا.. تقولين أنك تعرفيين
 مستقبلك؟ وأنا كذلك أعرف مستقبلك. وأنت ملائمة تماماً
 له، يمكن أن يكون لك مستقبل في عالم الأزياء، وأعلم أن
 لك مهارة وموهبة.. ولكن مستقبلك أكثر من هذا، وأغنى..
 ستكونين الحافية الحامل بين نراعي، وهذا مكتوب لك في
 حياتك، وسأسعى جهدي لأحقق المكتوب.

واستدارت على عقيبها وأسرعت نحو البحر ثانية.
 وركضت داخل الماء، ثم التفت لتتجده بقربها وأمسكها ضاحكاً.
 أنت أكثر غبية تشير بهجتي. تتوترتك مليئة بالماء... وأنا
 غائص حتى ركبتي. ألم يبدر إلى ذهنك أن جدك قد يطلب
 تفسيراً لهذا؟

سأقول له أنك جنت وأنني هربت منه!

حسناً! هل لنا أن نضع بعض خطط للغطس الآن؟
بالطبع.

وانتظراه أن يتحرك، وبدا كل شيء مثقلًا بآدب
مصطنعم. وكلماته التي تلت جعلتها تتمنى أى شئ آخر.
أنا عادة، لا أحلم بأن أدعو نفسي إلى منزلك، مع أنني
أعلم أنك ترحب بي في أى وقت.. ونحن بحاجة لأن
نتناقش أمور الغطس، ولكن هذا ليس السبب لزيارتى
لك... بما أنك رأس الأسرة، أتيت لأقول لك أننى أرغب في
الزواج من لوسي.

وهبطت لوسي على حين غرة فوق المهد، في الواقع
ساقها انهارت تماماً. وأحسست أنها في نوع من الأحلام
المستحيلة عندما شاهدت إبتسامة جدها وهو يصفق يده
بيد بيبرو مصافحاً ثم يلتفت إليها:
كم أنا مسرور! مسرور! لوسي.. لم يكن لدى أية
فكرة! أنها مفاجئة... ولن أكون أكثر سعادة.
وأخذت تنقل نظرها غير مصدقة من أحدهما إلى الآخر.

لقد اتصل بي بيبرو.. يريد القدوم لتناول العشاء معنا.
وهل دعا نفسه؟

نحن نمضى وقتاً طويلاً معاً، ولا تنسى أننا سنبدأ
الغطس في نهاية الأسبوع.. وأتوقع أن نبحث بعض الخطط.
اووه.. إذن سترغبان في أن تكونا لوحديكما.. سأتناول
ال الطعام في غرفتي.

لن تفعل هذا! لقد دعانا إلى منزله مرتين، وستكونين
الليلة المضيفة هنا.. لست أدرى ما دهاك يا لوسي.
كانت تعلم ما دهاما.. لقد عادت للاهتمام بيبرو كما
كانت في سن التاسعة عشر... ما من فائدة، على الرغم
من كلماته النارية ليلة أمس.

وكانت وجبة عشاء مكتوبية، ومن الوضوح أنها حيرت
جدها. وأحسست هي بأنها ترتجف، وكان بيبرو متحفظاً.
ويقى الأمر كذلك إلى أن انتهت الوجبة وتحركوا إلى
الشرفة ليتناولوا القهوة، عندها قال جدها وهو ينظر
بحزم إلى بيبرو:

جدى... أنا.. أنا..

ودق جرس التلفون وخرج جدها من الغرفة لي رد وهو يقول:
دقيقة واحدة! دقيقة فقط!

وقفت واقفة. ثم استدارت إلى ذلك البارد لا يحتمل:
هل فقدت عقلك؟ كيف تجرؤ على فعل هذا؟ هل هذا
نوع من الشأن لأهانتي لك ليلة أمس؟ أعرفك أكثر من أن
أصدق كلامك.

وعندما يكتشف جدي أنه تكذب سيدمره هذا. إنه يحبك!
بل أكثر من هذا! إنه أعز صديق لي. وأنا لا أكذب.
فمن الطبيعي في بلادي أن يطلب الأذن من كبير العائلة،
وهذا ما فعلت. وليس من الضروري. عادة أن تخبر
الزوجة المستقبلية أولاً. على كل، في مثل حالتنا، الأمر
يختلف. فانا أملك. ومع ذلك فقد أخبرتك عن نواياي ليلة أمس.

أخبرتني؟

بالطبع.. ولا يمكن أن تنسي. ولو أن والدى حى لكان
بحث الأمر بنفسه مع جدك... ولكن بما أننى رأس

أسرتي، فانا مضطر للقيام بهذا الترتيب بنفسي.

لا أحد يرتب لي شيئاً! ولست أنمى الزواج منك...
وإذا كنت سأتزوج.. فمن أجل الحب.. وأنا لا أحبك!

لا أذكر أننى طلبت منك أن تحببى، ولا أدعى أننى
أحبك. فاتت المرأة التر أرغب أن أتزوجها، أنت كل شئ
أرغب فيه، واعلم أنك قادرة على تحقيق أحلامى... فقد
فعلت هذا من قبل.

وأنت أنتي رقيقة، طفلة طبيعية وذكية. وستكونين زوجة
 المناسبة. ومن الجيد أننى مولع بك، وأشعر ب حاجتى لحمايتك.
وأنا أشعر ب حاجتى لأن أقتلك على الفور! أنا أعبد
جدى حباً. وعندما سمعتني أن هذا كله مزحة كبيرة، سينهار.
ولكننا لن نقول له هذا.. فانا أرغب الزواج منك.. وهذا
تنتهي المشكلة. لقد عبر جدك عن سروره ولكنك ترى أننى
غير مسروره.

قال لها بغضب:

حاولي التصرف كأمراة. الأمر طبيعى.. والأمر الوحيد

وأرعبها أنه قد بدأ بالفعل بنشر الخبر. وبدا سعيداً بهذا..
جدى!

أرجوك أن لا تبدئي بالقلق. سأحتاج لقليل من الوقت
لا تذوق طعم الفرحة. فأنا وبيدرو أصدقاء مقربين. وأنت
كنت وستبقين المفضلة لدى. ومن أقصى ما سأشعر به
من سعادة هو أن أفكر بك تسكنين ذلك المنزل فوق الجبل
لما تبقى من حياتك.

وتمتلت لوسي بحزن (جدى!) فتدخل بيدرو ليضع
حداً للنقاش ولو جوده معهما:

سأتركما الآن. فالكثير من الآثار سيبقى كما
مستيقظان طوال الليل. وغداً سنلتقي ونناقش أمور
الغطس.. وستذهب لوسي بالطبع معنا. وبعد انتهاء فترة
الغطس سنديبر أمر موعد الزفاف.

وأنمسك بذراعها:

تعالى.. أوصلينى إلى السيارة، وبعدها إذهبى إلى
النوم... فائى نقاش سنتابعه في الغد.

المختلف أنتي سبق وكنت أحبك. ولا حاجة لجدى أن
يعرف. وستكونين حرة في متابعة عملك. فائنا ثرى بما
يكفى لأن أكفل لك شهرتك حتى خارج حدود بلدك.
وستعيشين برفاہية وفخامة وتلدين لى الأبناء.

وارتفعت يداها إلى شعرها، وأحسست برغبة في
اقتلاعه من جذوره فلا شئ على الأطلاق يخترقه ليصل
إلى دماغها. فهذا الرجل الثرى الذكي المثقف.. يتصرف
كأبسط ساذج في هذه المنطقة من العالم!

وعاد جدها قبل أن ترد، وهو يبدو أصغر من سنه
بعشر سنين، وقال:

إنها أملك. كم هذا ملائم.. لقد تمكنت أن أخبرها فوراً
عن قرب زواجك من بيدرو. وقلت لها أنتي سأخبرها
بالتفاصيل فيما بعد. فهل تعرفي ماذا قالت يا دجاجتي؟
لقد قالت (ولكن لوسي دائماً تكون ملطخة باللون
الرسم!) وهذا الأمر الوحيد الذي تبادر إلى ذهنها
الغليظ.. ولا شك أنها ستتصل ثانية عندما تستعيد
رشدها، وهذا أمر قليل الحدوث.

فخ العنكبوت

بعد بضعة أيام كانت لوسي تجلس فوق السفينة (سى وايف) تدفن نفسها فى العمل. وكان خوف هائل ينمو داخلها حتى أن رغبتها فى العمل أخذت تتلاشى. وهذا ما جعلها أكثر غضباً من بيبرو.. فقد أقحم نفسه فى حياتها المستقرة. وكان وجهه يبرز أمامها فى أى مشهد تراه أمامها.

كانت والدتها قد عاودت الاتصال فى اليوم资料.. فمن الواضح أنها أمضت الليل كله تفكّر حتى استوعبت أن ابنتها ستتزوج من غريب لاتبني ثرى من حضارة مختلفة. ولو تحدثت إلى والدتها فعليها أن تعترف، ولو أعرّفت سيسمعها جداً وهي لم تفكّر بعد بطريقه للخلاص من فخ العنكبوت الذى نسجه بيبرو حولها.

وصعد بيبرو إلى سيارته بعد أن قبلها بسرعة، وغادر دون أن ينظر إلى خلفه وأحسّ أنها رهينة لستقبل جداً ومع ذلك فمن غير المجدى أن تتظاهر أنها لا تريده. ولكن لا تزال لديها الرغبة فى أن تجد أذاراً لعدم القبول بهذا الزواج.

وتمتّمت بكلمات غامضة لجدها وصعدت فوراً إلى غرفتها ووجهها يحترق من الغضب. وتقبل جدها هذا بابتسامة، وكأنما الأمر إحرار وجه فتاة سانحة طلبها رجل ثرى وسيم.. وهذا أمر رجعى وخىالى.. ولكنه يناسب جدها!

وراقبت جدها قرب الهاتف يستمع بسعادة مبتسماً
كيف سيبدو يا ترى عندما ستقول له أن الأمر كله محض
خيال مجنون من بيبرو؟ وقال لها جدها بعد أن أنهى
المكالمة مع والدتها:

إميلي قادمة إلى هنا لتأخذك معها. فهى ترفض فكرة
زواجك بغرير. ولكن هذا مستحيل! سنكون فى البحر
نغطس. ألم تسمعينى أقول لها هذا؟

أجل.. ولكننى لم أعتقد أنك تعنىنى أيضاً.
بالطبع كنت أعنيك. لقد قال بيبرو هذا ليلة أمس.
أليس كذلك؟

هاقد بدأ الأمر.. وهذه هي الطريقة التى سيحكم فيها
بيبرو حياتها.. ولكن لماذا تفكر هكذا؟ أنها لا تتوى أبداً
الزواج منه! وتابع جدها:

أعتقد أن إميلي تخاف على مستقبلك.. أنها تظن أن
أهل منطقة الكاريبي لا يزالون يعيشون فى العصور
الوسطى، ولديها مخاوف من إضطرارك للسير وراء
زوجك عارية القدمين، ولكنها لم تقل أن حبلاً سيكون فى

رقبتك، ولكن هذا كان واضحاً من كلامها. وستلدين قبيلة
من الأطفال بينما هو يتمتع مع (الجوارى) كما أسمتهن..
وأناأشعر بالأسى عليك يا دجاجتى!

وانفجر بالضحك.. (حافية) وتلدين (الأطفال) كلمات
أعادت إلى ذهنها كلمات بيبرو حول المستقبل. وهو كذلك
لم يذكر الحبل.. ولكن ما من شك إنه قد حضره. وأمها
أذكى مما تظن.

وكانت لا تزال تشعر نفس المشاعر وهى تجلس على
سطح السفينة.. ومنذ صعدت إلى متنها، تجنبت لقاء
بيبرو قدر استطاعتتها. ولكنه لم يكن مسروراً من
تصرفاتها المتحفظة تجاهه. وخاصة أنها اتفقت تماماً مع
الرجلين الآخرين اللذين يغطسا مع جدها.. أحدهما
أميركى والأخر بلجيكى، وكان كلاهما مستغرق فى عمله
ولكن الأميركي كان دائم المزاح والضحك معها. وقال
الأميركى وهو يستند إلى سياج السفينة:

أتدركين كم أنت جميلة؟
 بكل تأكيد..

فضحك وتقدم منها:

قيل لي أن الأميركيات من أصل أنكليزي متحفظات
عادة ومتواضعات.

ولتكن سألتني سؤالاً مباشراً، وأجبتك برد مباشر،
فهل كنت تتوقع أن أخجل ويحمر وجهي؟

من زاوية عينها شاهدت بيديرو يتسلق السلم من البحر
إلى السطح. وتجهم وجهه عندما شاهد مايك كالندر
يتحدث معها.. فخلع بيته قارورة الهواء عن كتفيه، ثم
تقدما ليقف تحت الدوش ليغسل الماء المالح عن جسده.

وتوقعت أن يقدم منها ليسمعها كلاماً جارحاً. ولكنه
اتجه نحو جدها الذي كان يجلس إلى طاولة طويلة عليها
آخر ما وجدوه في عمق البحر. وأحسست بنوع من الخيبة
لأنه لم يعرها التفاتاً. وأحسست بالخجل عندما سمعت
مايك يقول:

أترغبين في قليل من القهوة؟
أجل أرجوك..

إبقى هنا.. سأجي بالقهوة إليك.. أنت هنا بعيدة عن
الجميع.. وبإمكانى الإستفادة من هذا فى صحبتك لوحذنا.

فى العادة، مثل هذا الغزل كان يسعدنا، ولكنها
وجدت نفسها تجبر الابتسامة على الظهور على فمها...
فما الذى عليها أن تفعل لتثبت للرجال أنها لا تريدهم؟

هذه قهوتك!

واستدارت لتجد أن مايك لم يكن هو المتكلم، بل بيديرو.
إذا كنت تريدين شيئاً، فهناك خادم كفؤ، وليس من
الضرورة أن تزعجي مايك، مع إنه يبدو خادماً مطيناً.
بما أن حمل فنجان قهوة كان يبدو بوضوح لا يناسب
كرامتك.. فقد كان من الأفضل السماح لمايك بأن يوصله إلى!
أنت ستتزوجيني! ولن أسمح لأى رجل أن يتقرب منك!
يتقرب مني؟ وهل جلب فنجان قهوة لي يعد غزلاً؟ أمى
على حق! لم أكن أدرى أن لها مثل هذه المعرفة الواسعة..
أنها تؤمن بأنك ستكون مستبدأ. ولقد توضح لي أنها
تعرف تماماً عما تتكلم!

وماذا أفعل معك؟ هل أزعجك برغباتي؟ هل أتحرش بك؟ أنت هنا تفعلين ما تشائين. وأنا أتابع غطسي وكأنك غير موجودة. وجده يرعاك، إنه كبير عائلتك، فبماذا أزعجتك؟

أنت تعلم تماماً كيف تزعجني! فأنت مستمرة في الأداء بأننا سنتزوج وأنت تعلم جيداً أننى لن أتزوجك.

إنه ليس إدعاء.. سنتزوج بأسرع وقت ممكن.. ألم أقل لك أنتى مشتاق إلىك؟.. أظن أن مايك المعب لن يزعجك بعد الآن.

وتحرك ليبتعد، فصاحت به:
ماذا تعنى؟ ماذا قلت له؟

لقد أعلمه فقط أنك ستكوني زوجتي. ولا أظن أن سبني هذا الواقع. ولكن الأمر أطف لأخبرته أنت بنفسك.

وحدق بها بنظرة تأنيب وهو يبتعد عنها، واعتنى وجهها التجمهم. ولحقت عيناهما به بارادتها، وأحسست بأن الحرارة قد عادت إلى التصاعد إلى خديها من جديد.. إنها فعلاً تريده.. وأخافتها الفكرة أكثر من أي شيء آخر.

لقد سمعت تعليقاتها من جدك. وما من شك أن رأيها سيتغير بعد أن نتزوج.

ولكننا لن نتزوج.. فحال أن أصل إلى التفكير بعذر جيد لجدى سأسافر.

أنت لا ترغبين في السفر يا لوسي.. فأنت تريدينى كما أريدك.. ولو استمررت في هذا التصرف السخيف، فسأضطر إلى تقرير مصيرك بشكل حاسم على الرغم من تصميمى على التصرف بشكل متمدن.

لست أخاف منك أو من أي شخص آخر!

واستند بيده على سياج السفينة وابتسمت تزداد اتساعاً:

أنت خائفة من نفسك. أنت خائفة أن تقولى لي نعم. ولكن هذا لا يهم.. لقد تعاملت مع إعلان الزواج، وسأتعامل مع أي شيء آخر. لقد قلت لي نعم في الماضي.. وستقولينها ثانية.

أنت صديق لجدى.. وذكى مثقف، وواع. وأنت تعرف.. أنك لا تستطيع فعل هذا معى.

الم يصعد بعد؟ كنت أتوقع أن أجده هنا.. لقد مضى وقت لم أشاهده فيه، وظننت أنتي أطلت الغطس لوحدي. إنه مكان عميق للغطس، وبيدرو محترف، ويعرف كم يجب أن يبقى تحت.. كان عليه أن يكون هنا.

عندما أحست بالقلق لتأخر بيدرو، استطاعت أن تكبح مخاوفها، ولكن الأسوأ هو أن تشارك هذه المخاوف مع الآخرين.

وهل كان هناك أناس آخرون؟
صوتها القلق اجتذب انتباه جدها، فسأل بهدوء:
مثل من؟

حسنا.. لصوص.. أو أى أحد...
فهز جدها رأسه:

ما من مجال.. فليس هناك سفينة قريبة. على كل وجود قوارب سلاح البحرية لا بد أبعد اللصوص عن هذا المكان.

فقالت لوسى بسرعة:

وجافاها النوم تلك الليلة، وأخذت تتتجول في كابيتها وتفكيرها يدور مرات ومرات حول معرفتها الصارخة للواقع. حياتها كلها مبنية على أساس عملها، ولكن بيدرو يدمر كل شيء. كما دمر حياتها منذ زمن، عندما أحبته ثم خسرته، ولم يكن أمامها من تخبره عن عذابها، ما عدا أن تستمع لحزنها الصامت.

ويقينت في فراشها عند الصباح، ولم يزعجها أحد. وعندما خرجت أخيراً لتناول الفطار قال لها الخادم أن الجميع قد ذهب للغطس وكان جدها مستغرق في تنظيف القطع الثمينة التي استخرجت من البحر. فخرجت إلى السطح وأحست على الفور بحرارة الشمس.. اليوم ستأخذ حمام شمس مع أنها لا تحب إرتداء البكيني على السفينة، فقد كانت تحس أنها في فخ.

وصاح الفونس ريبون، الغطاس البلجيكي، بارتياح عندما ظهر مايك بعد طول انتظار من عمق البحر.

وسأله:

أين بيدرو؟

لوسي!

ولكنها غاصت فى المياه قبل أن يتحرك أحد. وصور
مختلفة لبيورو تبرق فى مخيلتها.

وضرب جسد المساء غير بعيد عنها، فغطست أكثر. لو
أن مايك سيحاول إرجاعها فلن تفعل! ويدا شبح أسود
بقربها وأمسكت يدان قويتان بها وهى تقاوم للتخلص،
ورثتها تكادا تنفجران طلباً للهوا.. واندس خرطوم
للتنفس فى فمها، وشاهدت عينا بيدرو السوداء تنظر
إليها عبر القناع الزجاجي وهو يركل الماء ليصعد
ويجذبها معه.

وبدت المسافة بعيده إلى السطح.. ولم يكن لديها فكرة
أنها قد غاصت إلى هذا المدى. وصعدا فوق الماء على بعد
قليل من السفينة.. فاحسست بحرارة الشمس ترحب بها.
وبيندين آخرتين تأخذانها من بيدرو، ويجرها الفونس نحو
السفينة. وعندما فقط صدمها غباء ما فعلت. كانت
 تستطيع السباحة كالسمكة.. ولكنها لم تغطس من قبل.
ولم يدفعها إلى الغطس سوى خوفها على بيدرو وتعلم

ولكن ليس هناك قوارب لسلاح البحرية الآن... وربما
لم نستطع أن نراهم.. ربما معهم غواصة؟...

وقال جدها بهدوء ليبعد مخاوفها:

لوسي.. لا تكوني سخيفة هكذا. ليس من عادتك
الخوف. هذا صحيح.. ولكن بيدرو لا يزال في عمق الماء..
وأصبحت ضحية لخيالاتها.. وتخيلته تحت رحمة عدو
مجهول، ومعدات الغطس نزعـت منه... أو ربما كان
يغرق.. أو غرق بالفعل! وقال الفونس بهدوء:
على كل.. يجب أن يظهر الآن. فهو ليس غبياً ويعرف
كل المخاطر.

سأجد هذا بنفسي!

وكانت في منتصف طريقها إلى الماء قبل أن يفهم أحد
ما تنويه. حتى هي نفسها لم تفهمها.. بل قهـمت شيئاً
واحداً: لم يعد بإمكانها الانتظار أكثر عودة بيدرو...
لو إنه غرق...!

وبدا أن الجميع صرخ بصوت واحد:

جياداً لماذا.

ولفها جداً بمنشفة كبيرة:

لوسي.. كنت دائماً أقول أنك متعقله، لماذا فعلت هذا؟
ووقفت ترتجف، وبيدرو يخلع معدات الغطس ليتقدم
نحوها. كان غاضباً جداً. وقال:
ما نوع هذا الغباء؟

وتدخل جداً لعلمه أنها عانت ما يكفيها:

إهداً يا بيدرو.. كانت تبحث عنك.. أنها غلطتنا.. لقد
كنا نقول أنك أطلت الغطس.. ولوسي...

وأكمل مايك:

ظلت تعرق، كما أتصور.. و لا أظن شجاعة مثل هذه
يجب أن تعاقب.

وخدمت النار في عيني بيدرو. وارتفعت يداه على وجهها:
لوسي؟

فانفجرت بالبكاء.. ولم يكن السبب هو الصدمة أو

الأجهاد، بل إدراكها ما الذي جعلها تحس بضرورة رمي
نفسها وراءه في البحر أول براعم الحب التي أحسست بها
وهي في التاسعة عشرة، قد نمت لتصبح زهرة ناضجة
شرسة لحب إمرأة لرجل.. ولا فارق فيما تعرفه عنه..
وهربت إلى كابينتها...

وكانت لا تزال تجلس ساهمة عندما دخل عليها بيدرو.
ورفعتها ذراعاه، والتفت حولها، لتضمهما إليه لدقائق دون
أن يتكلم.. ثم قال:

هل خفت على يا حبيبي؟

وارتفعت يده إلى وجهها وعيناه تقرنان ما يحول في
ذهنها، وتتابع:

لقد كنت بأمان تماماً.. ولكنني أطلت الغطس لأفترش
أكثر. ولم أدرك أنك ستقلى، سامحيني لوسي... لن أؤلك أبداً.
بل ستؤلنى.. فقد فعلت هذا من قبل!

ومدت يداها إليه تضمه بشغف.. وفي هذه اللحظات
لم تعد تهتم بما سيفكرون بها أو بما ستفعل... إنها فقط

أنت أردت أن تكوني معي.. وعندما رميت نفسك في الماء كان من الواضح انك تهتمين بي لدرجة الزواج مني.
و قبل هذا لم أكن متأكداً. لقد اتصلت بوالدك وأخبرته.
وأتوقع أن تطلب أمك أن يكون الزفاف في نيويورك وفي منزلهما.. وأنا راضٌ بهذا.

ولكن.. ولكنني.. لم أوفق... وأنت تعلم أنتي لن أتزوجك.

فهز رأسه وقال:

أوه لوسي.. أحياناً تكونين كالطفلة! ماذا تريدين?
أترغبين في أن أضربك؟ حسناً سأفعل هذا بعد الزواج.
لا أستطيع الزواج منك.. لا أستطيع!

ومد لها يده بعد أن وقف، ووقفت معه تتسائل عما سي فعل الآن.. هل سيعود إلى السفينة أم سيسكتشfan
الجزيرة؟

كل شيء يفعله يكون غير متوقع.. إنه لا يتصرف كالناس العاديين. وجرها خلفه بيده.. ربما يكون هذا هو الحبل؟ ربما لن يضطر أبداً إلا إلى مد يده إليها؟

تريد أن تطمئن نفسها إنه لا يزال حيا. فقال لها هامساً:
وهل أولك الآن؟ ألا زلت أخيفك برغباتي؟ ألها
تعلقين بي هكذا؟ أنت إمرأة! هل ستتكررين هذا مرة أخرى؟ نحن لبعضنا.. ونحن رائعان مع بعضنا. ارتدي ملابسك وسنعود إلى الجزيرة لنتغذى هناك.
و.. ماذا.. سيظلون بنا؟

ونسيت أنها لا تزال في ملابس البحر فاحمر وجهها،
قال لها:

سيظلون أنا ذهباً في نزهة.. ومهما يكن ظنهم
سيحتفظون به لأنفسهم. لدى عمل لبعض دقائق ولن
تأخر.. سأعود لأصطحبك.

وبكل إرادته، رمى عقلها كل تفكير نحو الظلمة، ما
عدا الرغبة العميقه... فقدرها قد استولى عليها الآن..
وهناك سعادة محمرة تستولى عليها.

ووصلـا إلى جزيرة صغيرة غير مأهولة.. حيث تناولا
الطعام الذي تم تحضيره على السفينة. بعدها قال:

خسرها وجنبها إليه معاً، ونسى مكان وجودهما،
وتخلت عن كل تفكير بالتوقف. وعلمت أنها ستفعل أى
شيء يريده بيذرو منها.

وعلم هو كذلك، ومع ذلك همس لها بشئ جعلها تجفل:
لوسي.. كم رجلاً عرفت منذ أن تركتك؟ ستكونين
زوجتي لقد وعدتك بهذا.. ولكن يجب أن أعرف. ولن
اللومك... لقد كنت طفلة.. ولقد أخذتك رغم إيمانى
ومبادئي.. فمن أكون كي أحكم عليك؟

فهمست له:

لم يكن هناك غيرك. لا قبلك ولا بعديك. حتى أنتي لم
أفكراً أبداً..
ولماذا؟

كانت الكلمة حادة وكأنها تعترف له بعده علاقات.
لماذا؟... أنا لم أرغب بأحد... بعدك...

ولحقيقة كاملة أطال النظر إلى عينيها، وبدا على وشك
الكلام إلا أن رغبته غمرته، وأحسست بذراعيه تشتدان من

وقادها عبر الأشجار، حيث وجدا نبعاً صغيراً يندفع
من بين الصخور.. صوت المياه كان كالموسيقى الناعمة.
وأدارها إليه:

على الشاطئ كنا على مرأى ممن على السفينة، إما
هنا فلا.. والجزيرة مهجورة إلا منا أنت وأنا.وها قد
 أصبحنا لوحدين. والآن أخبريني لماذا غطست في البحر...
ستقولي لي أنك تهتمين بي لدرجة أن تخاطري بحياتك.

أنا سابحة ماهرة، ولو أن أى أحد غيرك...

لقد خيبت أملـي بكذبك. لم تكنـي أبداً في الماضي..
ومع ذلك فـأنت لـست بـاريـعة بالـكذـب. وأـنـا لا أـريدـكـ أـنـ
تـقولـيـ دائمـاًـ أـنـكـ لاـ تـريـدـيـ الزـواـجـ منـيـ. بلـ أـرـيدـ أـنـ أـسـمعـ
منـكـ أـنـكـ رـاغـبةـ بيـ. فـهـلـ يـجـبـ أـنـ أـكـتـشـفـ هـذـاـ بـنـفـسـيـ؟

وبدأ يتلمسها.. ببطء وإثارة أخذت تجرحها من
الداخل إلى أن أصبحت أنفاسها ترتجف.. وتحركت يداه
فوق كتفيها، ثم انخفضت أصابعه لتتمر على وجهها
وعينيها وشعرها.. ولم تعد قادرة أبداً أن تقاوم.

ولم تقم بأية محاولة لأيقافه عندما أنزل ذراعاه إلى

وركض نحو الشاطئ وما أن لحقت به حتى كان قد حمل سلة الطعام ووضعها في المركب الصغير وارتد إليها، فقالت وهي تتمسك به.
السفينة تبدو على ما يرام.

لابد أن هناك شيئاً خطأناً، لا يستخدمون مثل هذا الصغير الحاد إلا لسبب.. هل أنت بخير؟

وسارع إلى إدارة المحرك، وكانا يطيران فوق الماء ولوسى تنظر إلى السماء الخالية من الغيوم، وإلى البحر الهدى. ومع ذلك فقد أحسست بأن هناك شيئاً خطأناً، حتى قبل أن يصلا إلى جانب السفينة وترى مايك بانتظارهما... وعندما فكرت بجدها..

وسرعان بيذرو إلى السطح وجذبها معه فصاحت:
ما الأمر؟

ونظر إليها مايك بقلق:

إنه جدك يا لوسي.. لا تعرف ما به.. إنه متآلم لدرجة أنه لا يقدر على الكلام. يمكن أن تكون نوبة قلبية.

حولها، وترك نفسها تسبح تحت سيادته عليها.

ولم يكن هو بيذرو الذي تعرفه.. ليس الرجل الذي تذكره.. ذلك الرجل.. ذهب مع الحلم البري.. وهذا الرجل، يطالب.. يريد، يتשוק برغبة بدائية.. متوجحة. وبدأ عقلها يتلاشى بعيداً بدوره.. يبتعد عن الواقع.. عن البحر.. عن الرمال.. عن العالم بأسره... وقال بصوت متحجرش:

هل تذكريني الآن يا حبيبي؟ الآن عرفت أنك عدت لي.
وأنت تعرفي إلى من تتمنى.. أليس كذلك؟
أجل..

وكان ردها خفيقاً، مجرد آهة في حنجرتها ولم تعد تستطيع أن تقاوم أو تفكك، وأظلمت الدنيا من حولها. وقت طويل لتعود إلى دنيا الواقع.. ولكنها قبل أن تستعيد كاملوعيها سمعت صوتاً غريباً.. صوت صغير، وارتفع رأس بيذرو، حذراً وقلقاً.. وعيشه إلى السماء. إنها إشارة الخطر.. من السفينة.. إسراعي يا لوسي!

ترغب في العودة مع أمها. فجدها لم ينتقدها قط، ولم يجبرها على فعل شيء أو عدم فعله أبداً.. كان دائمًا يعرف ما تريده.. وما تريده كان دائمًا يناسب هواه، لذا كانا يعيشان سلام، وتوافق.. وينفع من النعيم. وتمتنت يائسة:

إنه عجوز! إنه في الواحدة والسبعين!

والتقت إليها بيذرو

في الواقع هو في الثانية والسبعين. ولكن هذا يجب أن لا يقلق فجتك رجل قوي.. فحتى سنتين مضيتا كان يغطس معنا.

لم أكن أعرف هذا.

وكيف ستعرفي؟ أنت لم تأت ولا مرة.
لم أستطع.

وأحس بآثارها فمد يده يمسك بيذرا.

لا تعيشي في الماضي يا لوسى.. إنه سعيد معك الآن،
ولا يفكر بالأيام التي لم تأت بها إليه.
صحيح.. إنه سعيد وسيكون سعيداً أكثر لو أنها بقيت

وركضت لوسى، وكان بيذرو بقربها ومعها، لتجد جدها مستلقياً على أريكة ولون وجهه مرعب، ويداه تمسكان بصدره.

لوسي!

ولكن بيذرو أمسك بيذرا.

لا تتكلم..! إسترخ.. سأخذك إلى المستشفى خلال دقائق.
ويقين قرب جدها، وما هي إلا دقائق بالفعل حتى سمعت هدير الهليكووتر فرفعت عيناهما إلى السماء. ولف جدها بالبطانيات وحمله بيذرو إلى الطوافة بكل سهولة.
وساعدته الفونس في وضعه داخلها ثم دارت المحرك لتطلق بهم إلى ميامي ، وقال بيذرو قبل أن تطلق الطوافة للفونس:

عد بالسفينة إلى الشاطئ بأقصى سرعة وسأتصل بكم.

وأحسست وهي تنتظر إلى جانب بيذرو في ما يحيط بها من برودة في جناح المستشفى بأنها ضائعة ووحيدة..
فعندما جاءت إلى جدها في الجزيرة وهي صغيرة لم تكن

معه، لو أنها تزوجت بيبرو.

وتصلت عندما شاهدت الطبيب يخرج من غرفة الأسعاف... وتقديم الطبيب مباشرة إلى بيبرو:

إنها ليست نوبة قلبية، مع أنه يعاني من بعض الأضطرابات في قلبه. ولكننا نعتقد أنه نوع من التسمم.. من الطعام كما نظن.

ولكننا جميعاً تناولنا نفس الطعام، أليس كذلك؟

وخفت صوتها عندما تذكرت أنها تناولاً الطعام على الجزيرة. وقال بيبرو:

ليس تماماً ولكن الباقي فعلوا. وكانوا بخير عندما تركناهم. كيف السنيور براونننغ الآن؟

إنه بخير.. ومن الأفضل تركه ليستريح ولكن من الأفضل أخذة إلى نيويورك بدل العودة إلى الجزيرة. ففي أي وقت قلبه قد..

سأراه إذن!

وقف بيبرو.. فقالت لوسى:

وأنا كذلك.

لا.. إنه واجبي وأنا سأراه.

إنه ليس واجباً.. وسأراه.. أنت لست حفيده.

واللحظة حدق بها بعناد، ثم هز كتفيه، واستدار إلى الطبيب مبتسمًا:

عن إذنك.. سنقى نظرة عليه، لابد أنه سيرتاح أكثر عندما يرى حفيديثه، على كل لن يرتاح لها بال إذا لم تراه... إنها اسكنلندية الأصل.

ما من أحد، في مطلق الأحوال، يجرؤ على تجاهل شخص عزيز هكذا على قلب بيبرو دي سانتانا. فكل الخدمات كانت جاهزة والمستشفى كان مستعداً وهو يدخل.. وما هي الآن سيارته الكبيرة الأنثقة تتقدم نحوهما بعد أن خرجا، بمجرد إشارة من أصبعه... وكان الظلام قد عم، ولكن ظهره كان واضحاً لها، مظهر الملك، الذي يحمل المسؤوليات الجسمانية، ويعرف تماماً مدى قدرته. إنه مختلف جداً عنها، وخارج كثيراً عن مدى خبرتها. فلماذا يريدها؟

هل سنعود إلى الجزيرة؟

ستعودين لوحدك.. وسأعود إلى المستشفى.. فبوجودك ربما لم يكونوا راغبين في الكلام. وأريد معرفة المزيد عن حالة قلبه. وإذا كان من الضروري إعادته إلى اسكتلندا فسأفعل.

وأمستك أصابعه بخدها.. ثم تركها بكل بساطة، وتصرف وكان شيئاً لم يكن بينهما، لا رغبة، ولا شوق.. وهو يبتعد.. بدا لها هادئاً، بارداً، مكتفياً.. وكاريبي.. كاريبي جداً.

كل هذا الحب

بعد العشا، وصل بيدهما إلى السفينة (سي وايف). كان الحديث قد دار خلال الوجبة، وجلس الجميع الآن ينتظرون الأنباء.. وما أن توقفت سيارته أمام المينا، حتى سارعت لوسي لاستقباله.

كيف حاله؟

بخير حتى الآن. على كل أظن أن علينا إرساله إلى نيويورك بأسرع وقت ممكن.

ولم تسأل المزيد، لأن جميع من في السفينة لم يستطع الانتظار فسارع يسألها، وأخبرهم بيدهما عن تسمم الطعام وواقع أن قلبه غير سليم. وقال للوسي فيما بعد: إن قلبه أكثر من متعب.. فهو يحتاج إلى عملية في

الشريان الجانبي.. ومن الواضح أن هذه العملية يجب أن تجرى في نيويورك ويمكن نقله في الغد، ولكنني أفضل نقله اليوم.

وهل يتحمل السفر بالجو؟

قيل لي أنه سيكون بخير.. سأتدبر أمر وجود طائرة تنتظره طوال يوم غد.

في تلك اللحظات أحسست لوسى بالأمتنان لبيدرو وثراوه وسلطته. وكانت تعلم أنه سيتصرف بنفس الطريقة حتى ولو لم تكن موجودة. ولكن عقلها كان في دوامة، لا يزال يفتش عن سبب كي لا تحبه، دون أن يوفق إلى شيء.. إنها له.. وهكذا كانت طوال خمس سنوات، ولا سبيل للأنكار.

وقالت له وهو يجلسان على سطح السفينة بعيداً عن الجميع: أخبرني لماذا...

وتلاشى صوتها.. ففتحها على المضى في السؤال، فتابعت: لماذا اشتريت البيت الذى على القل؟ ولماذا أقنعت جدى على البيع ولماذا جعلته يغير حسابه فى البنك... ولماذا

اشترت السفينة منه؟... أنت تحبه، فكيف تخدعه؟
إذن أنت تعرفي أنتى أحبه؟ كلنا هنا نحبه يا لوسى..
إنه جزء منا، جزء من الجزيرة. ولن أسبب له الحزن ولو مقابل كل ما في الدنيا. جدك رجل يثق بالناس، وكل رجال العلم، يعيش في عالمه الخاص ولسنوات كان يسلبه محاسب يبدو أنه انتقام عشوائيا دون نصيحة من أحد أو تفكير.

إنه رجل شهير، وكتبه وكنوزه التي يكتشفها معروفة في العالم كله ويجب أن يكون ثرياً جداً، ولكنه ليس كذلك.. عندما أتيت إلى كاراكو وتعرفت إليه لم تكن لدى فكرة عن أمواله...

وفي حديث معه بالصدفة حول الأعمال لاحظت الأمر. فقد قال لي ذلك المحاسب: للأسف هذا العجوز هو على شفير الفقر. ومنذ ذلك الوقت اهتممت به، ثم عرفت السبب، لذا قررت أن أحول بعض ما يمتلك إلى أموال سائلة، فاشترت منه المنزل والأرض والمركب والعديد من الأشياء التي لم يعد يستخدمها ووضعتها له في حسابي

ووندما وقف ليذهب، وجدت أنها لن تتحمل رؤيته يذهب.
لماذا لا تبقى الليلة هنا؟
صوتها كان يائساً قليلاً، ولابد أنه لاحظ ذلك، ولكن لا
شيء يمكن أن يغير قراره:
لن يكون هذا من الحكمة، الأفضل أن أبقى في ميامي
لأترب معلومات إضافية عنه.. ويمكن أن استخلص
معلومات جديدة من صديقك برنارد. فقد أعرف منه
الكثير عن حياتك في السنوات الخمس الماضية.
يمكنك أن تسألنى.
لن يكون الشيء نفسه يا عزيزتي.
وهل تلمح إلى أنني قد أكذب عليك؟
واستدارت غاضبة عنه. فأدارها ليحتويها بين ذراعيه:
لا، أنا لا ألمح إلى مثل هذا.. ولكنني أستطيع التحدث
إليه طوال الليل دون خطر... ولو بقيت هنا، فلن أعرف
سوى ما أعرفه عنك. ولا أريد مساعدة لأعرف أنتي أريدك.
وكاننا قبلته لها عذبة. وأضطررت للأعتراف بحكمته..

فى البنك كذلك قدمت له خدمات محاسبي الخاص.
وماذا عن ذلك المحاسب؟ لماذا استطاع الهرب دون
أذى؟ فضحك بيبرو.

لست أفهم تعابيرك ولكننى سأتبع مجرى تفكيرك
العام، المحاسب الآن فى السجن. وهو هناك منذ سنتين.
لم يقل لي جدى عن هذا أبداً.. لقد سأله.. عن أشياء..
ولم يقل كلمة عن هذا.

آه.. أجل.. أنت تقومين بتحرياتك الخاصة كما أتصور.
ولكن جدك لا يعرف.. لقد بقى الأمر مكتوماً ضمن دائرة
ضيقـةـ. فلو عرف لرفض مساعدتنا. على كل لا يجب
إزعاجـهـ بهـكـذاـ أمـورـ. إنهـ (براونـنـغـ)ـ وهوـ مهمـ جداـ لناـ،ـ
وأؤكدـ أنـ كلـ شـؤـونـهـ الانـ تـجـرـىـ عـلـىـ ماـ يـرـامـ وـيـنـظـامـ.
وأموـالـهـ تـزـايـدـ بـمـعـدـلـ جـيدـ..ـ ولـنـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـلـكـ الـأـمـوـالـ
أـوـ مـكـاـسـبـهـاـ..ـ فـائـنـاـ أـعـتـنـىـ بـمـنـ أـحـبـهـمـ وـلـكـنـهـ لـيـسـ وـاحـدـاـ
مـنـ أـقـارـيـكـ.

لقد أصبحـ الانـ هـكـذاـ..ـ أـنـتـ لـيـ،ـ وـطـالـلـاـ هـوـ حـىـ سـيـقـىـ
تحـتـ حـمـاـيـتـيـ.

أفضل ما يمكنهم. وقال لها وهو يقودها إلى الأبواب
الرئيسية للمستشفى:

إلى أن يستعيد عافيته، وتنتهي العملية يجب أن نوقف
الزواج. لم تتح لي بعد فرصة لقاء ذويك.. ويجب أن أعود
إلى كاراكو على الفور.

سيكونون هنا بعد ظهر اليوم.

لن أستطيع الانتظار.. الطائرة في انتظاري، في
الواقع لم يكن لدى الوقت الكافي لأجيء معكم.

لماذا أزعجت نفسك؟ أنا قادرة تماماً على تدبير شؤون جدي..

ربما.. ولكنني لا أستطيع تصديق هذا بدقة. ولقد

تحدثت مع صديقك، وإلى أن يصل والدك سيعتني هو بك.

وهكذا.. إنه سيتركها ويدهب.. ولم تصدق.. واستدار
لتلاحظ أن وجهه مليء بالمشاعر.. وصاحت بما كان يفكر
به قلبها.

بيدرو.. أحبك!

فاستدار نحوها.. وقال بصوت أحش:

مع قلقها على جدها. وعرفت أن بيدرو سوف يتعامل مع
قلقها باحتضانها بين ذراعيه.

ففي هذه اللحظات لم تكن قادرة على التفكير بأى شيء
مرير.

وكانت الطائرة حاضرة في الصباح التالي، ومع أن
جدها كان لا يزال ضعيفاً إلا أن الأطباء كانوا مصممين
على أن يسافر. ولم تعلم لوسي ما إذا كانوا لا يجررون
على إبقاء مثل هذا الرجل العظيم تحت رعايتهم أم أنهم
يعرفون أنه سيحصل على عملية قلب أفضل في
مستشفيات نيويورك. على كل الأحوال، أخذ بيدرو الأمور
ببيده، وجاء معه برنارد، ويرهن أنه قادر على التخفيف
عنها وهي صفة لم تكن تعلم أنه يمتلكها.

وفي نيويورك لم يكن هناك أية عراقيل، فقد تدبر أمر
نقل جدها فوراً إلى المستشفى المتخصص، وتم إستشارة
الأخصائيين. طوال الرحلة، بدا بعيداً عنها، وعلمت أن
هذا مرد أنه يتحمل مسؤولية نقل جدها. وهو كذلك الآن
في المستشفى، مع أن الجراحين قالوا أنهم سيفعلون

اعتنى بنفسك.

بعد شهر من هذا، وقفت لوسي على شرفة المنزل، تنظر إلى طرقات المدينة التي طالما سارت مع بيبرو عليها.. لقد تحسنت صحة جدها، ولكنه لا يزال في المستشفى.. وعندما يسمحون له بالخروج سيعود إلى كاراكو.. ولكن لوسي لن تعود معه. وطوال هذا الوقت لم تسمع كلمة من بيبرو.. وعرفت في قلبها ما كانت تعرفه طوال الوقت... لن يكون هناك زواج. وهذه المرة انتهى ما بينهما إلى الأبد. وأى إنسان له شيء من العقل السليم ما كان سار بمحض اختياره إلى الفخ مرتين. ولكنها لا تملك العقل السليم فيما يتعلق ببيبرو. إنه يحتل أحلامها، وسيبقى هكذا.

وكانت قد انتقلت من منزلها الخاص لتعيش مع والدتها فهى لم تستطع تحمل الذكريات لوحدها.. وبالنسبة لأميلي خسران لوسي للعرس أمر لا يغتفر... وبيبرو لها أن كل هذا كانت غلطة لوسي. وقالت إميلي متذمرة:

ولكنى طالما فكرت بأمر الزفاف! والناس كلهم عرفوا به!

أى ناس يا أمى؟

ونظرت إلى أمها بقلق، وهى تلاحظ أنها ليست قلقة على أى شئ سوى المظاهر... مع أن مظهرها لم يقلق والدتها بالمرة... وجهها الشاحب الملىء دائمًا بالحزن، خسارة وزنها.. واقع أنها دائمًا دون نشاط أو حيوية. كل هذا لم تلاحظه أمها. بل كانت تفكير بالأصحاب والمعارف، والمنافسين في العمل.. والتفسيرات التي ستضطر إلى تقديمها.

ولكن نظرة والدتها كانت أعمق.

لابد أن السبب إمرأة أخرى يا عزيزتي؟ هل لديه

إمرأة أخرى؟

ربما أنا السبب!

لا.. لست أنت يا لوسي، أنت لم تتغيري منذ الطفولة..
فعندي تعطى.. تعطيني بعمق.

أظن أن هناك إمرأة أخرى.. لست أدرى. لقد نساني
كما فعل منذ زمن طويل.

الشيء الوحيد الجيد لانتقالها إلى الشقة هي أنها أبقتها مشغولة. ويقرب موعد العرض أخذت تجهد نفسها بالتحضيرات. والأعلان عن المعرض كان كاملاً وجيداً. وفي مناسبات أخرى كان المحل يمتلئ بالزيائين. وبدت الأمور جيدة.. وكانت تنفذ المزيد من النماذج ثم تسارع لوضعها على الواجهات. وكان أمامها الكثير من العمل بالانتظار، أكثر مما لدى برنارد..

وتتدفق الناس إلى المعرض. ما يكاد يخرج من في الداخل حتى يتتدفق غيرهم. وتقدم برنارد من لوسى وهمس لها:

لقد نفذ من عندنا شراب الضيوف.

فهزت رأسها، وتوجهت نحو الشقة لتحضير المزيد. والدها ما كان يتركها لوحدها أبداً منذ أن انتقلت إلى هنا. ولكنه الليلة كان في اجتماع هام، وبقيت هي برنارد لوحدهما يتوليان ترتيب المعرض. وعندما عادت إلى المحل كان برنارد يبحث عنها وقال متماماً:

لوسى لقد بعنا آخر قطعة من تصميماتك. لقد حضر

لابد أن هناك تفسير لما جرى.

هناك سبب، ولقد قلت له لك... سأنتقل لأسكن لوحدي ثانية يا أبي.. سأطلب من برنارد أن يعطييني الشقة التي فوق دار الأزياء.. إنها كاملة الديكور وفارغة.

سأساعدك.. ستنقل أغراضك ونزيل من أثاث الشقة.. ولكن ستكونين وحيدة يا لوسى.

فتنهدت:

ليس أكثر مما أنا عليه الآن.

وتحمل برنارد كل الأعباء بمفرده، حتى عندما اعترفت أنها لن تستطيع العمل قريباً.

لا يهم.. لقد فكرت أنك قد لا تكملين عملك، وهذا ما دفعني للعمل لقد نفذت عدة تصميمات، وأظن أنها الأفضل من بين ما نفذت.

وانفجرت لوسى بالبكاء، فقد عاودتها ذكري بيدها... ولم تكن قد اشتغلت في أي شيء منذ رجوعها. كانت ترى جدها دائمًا، ولكنه أيضاً لم يسمع أي خبر من بيدها.

المساء، واستمر الناس بالتدفق وودعت برنارد أخيرا، ثم
أغلقت الباب من الداخل، وصعدت السلالم إلى شقتها.

وكانت في منتصف الطريق إلى الأعلى عندما دق
أحدهم الباب، فاستدارت فوراً لتعود إلى محله. لابد أن
برنارد نسي شيئاً. وتمتنع أن لا يكون قد عاد ليسألها إذا
كانت بخير... لقد أصبح مؤخراً كالفراخة الحاضنة.

ولم تضي الأنوار، بل نظرت بفضول عبر الزجاج،
وكان قلبها يتوقف عندما شاهدت جسم الرجل الطويل
المنتظر في الخارج. ووقفت تتحقق به.. وقرع الباب الثانية،
بقوة أكثر، وقال لها بخشونة:

لقد رأيتكم.. وليس فكرة جيدة أن تقف هكذا.. فإذا
أصبحت عديم الصبر فقد أكسر الباب.
وتركته يدخل.. ووقفت جانباً وهو يستدير ليقفل الباب خلفه.
ماذا أتيت؟.. كيف أنت؟..

أضيئي الأنوار. بما أن الناس قد خرجوا الآن، أريد
أن أنظر إلى ما اشتريته، وأنا أتمنى بصدق أن يكون
المحامي قد اشترى كلها. وإلا سأكون منزعجاً جداً.

رجل وحده بكل المعروضات ثم ابتاعها جميعها!

وتوقف قلبه عن跳 القهقان لعدة ضربات.. ثم نظرت من
حولها.. لابد أنه بيذرو.

وكيف كان شكله؟

قصير وبدين، يلبس نظارات.. إنه من النوع القانوني
دون شك... ولابد أن العمل بالقانون يزدهر، فلم تكن تلك
الثياب رخيصة. ولقد اشتري الكل. وعلينا أن نوضبها
ونرسلها في الغد. ومن حسن الحظ إنه لم يطلبها على
الفور ولا لفرغ المكان من المعروضات.

وهل اشتري تصميماتك؟

لا.. لقد دخل ونظر من حوله ثم استدعاني وقال
بخيلاء إنه يريد شراء كل تصميمات لوسي ماكدونالد.
وأنا لاأشعر بالغيرة يا حبي. لقد بعث الكثير من
تصميماتي، وهذا المكان سيقف ل أيام عديدة لـ أنه سيكون فارغاً.

وتركتها برنارد مرحأ.. وأطلقت لوسي إبتسامة، بعد أن
ظلت الأمل قد مات. وسرها أن أنهى المعرض وأنصرف
الجميع وأصبح الظلم شديداً فقد أقيم المعرض عند

أنت.. أنت.. اشتريت كل تصميماتي؟ ذلك الرجل كان...؟
أنا اشتريتها ولدي مكان يكفي لوضعها فيه.. وخاصة
تلك التي تناسب قياسك، وجدك سيسعده أن يراها.

وأخذ يتجول متفرساً، ووقفت لوسى ترتعج كورقة
الشجر في مهب الريح. لم تكن تفهم لم هو هنا. لقد كان
بارداً، يتصرف وكأنهما لا يعرفان بعضهما، وهذا ما كان
يؤلمها. ولم يأخذها بين ذراعيه ليشرح سبب غيابه.

بإمكانك تقريباً شراء كل شيء الناس والأشياء على
حد سواء. على كل الأحوال.. لا أريد لتصميمي أن تكون
مخبئة في مكان واحد. وإذا أراد أحد حقاً أن يشتريها
فساضع الثمن بنفسى إذا ظننت إنه قادر على تحمل
ثمنه.. إنها مصممة ليتمتع بها الناس.

بإمكانى التمتع بالفرق عليها!
أنت تؤلمنى.

وضاقت عيناه وهو ينظر إليها
فلنصلح إذن إلى شقتك لنتحدث. لقد قال لي والدك

فهمست بارتباك:
ليس لدى أي تفسيرات... أية تفسيرات تقصد؟
لقد علمت من والدك أنك الغيت فكرة الزواج نهائياً.
وتركت أمك في حالة صدمة كبيرة.
وماذا.. توقعت مني أن أفعل؟ أنت.. لم تعد. ولم تقل...
وهل ظننت أننى هجرتك؟
أجل.. كما هجرتني من قبل. لماذا عدت يا بيبرود؟ لا
أريد أن أتألم مرة أخرى.
واستدارت عنه، فمد يده ليطفي الأنوار، وقال أمراً:
سيرى أمامى!
لا أريدك داخل شققى. ولا أريد التحدث إليك.
ومع ذلك وجدت نفسها تدفع إلى فوق، وهو يلحق بها.
ورد بيبرود:

وحق في عمق عينيها ويده تعبث بذهب شعرها:
لم أكن أجرؤ على الأمل بأنك تحبّيني إلى هذه
الدرجة.. كنت قلقاً دونك. هذه الأسبوع بدأ لى كسنوات،
ولقد انتظرتكم طويلاً.. فلا تتركنني انتظر أكثر، لم أزعجك
بمداعباتي بعد الآن.. ولن أوذيك.

كان هناك ارتجاف في صوته فنظرت إليه:

بيدرُوا؟

فقال بصوت منخفض:

أحبك يا لوسى. وإذا لم تتزوجيني فلن أتزوج أبداً.
عرفت هذا لحظة رأيتكم وأنت في السابعة عشرة.

وشدّها إليه، فأحسست بتقوّره، ورأت الحب في عينيه، وهمس:
أريدك.. وهذه المرة لنفسى.. وأظن أنك مدينة لي بهذا
القدر وبإمكانك إثبات كم تحبّيني.

وأين كنت طوال هذه المدة؟

لقد قال لها إنه يحبها وقلبه يغنى لهذا، ولكنها أرادت
أن تويّخه، وأن تطالب به بتفسير... فقال لها قلقاً وهو يجلس

يبدو لي أنني أمضيت وقتاً طويلاً أفكّر بما تريدين
ومالاً تريدين ولقد آن الوقت لأفكّر بما أريده أنا. وبما
أننا نتوقع قرب موعد زفافنا فلست أرى ضيراً في قضاء
الليل هنا.

وتراجعت إلى الخلف:

بيدرُوا!

ولكنه أطبق يداه على خصرها وابتسمة تسع على وجهه:
تعالي إلى هنا.. يا حلوتي. لقد قلت لي آخر مرة أنك
تحبّيني، ولم يكن لدى الوقت لأفكّر بما قلّتِي... وأنا أنوئي
التفكير بهذا الآن.

لماذا.. لماذا عدت يا بيدرُوا.

وكانت لا تزال تقاوم، فهي لم تعد تجرؤ على أن
تغوص في حمى هذين الذراعين مرة أخرى.. ولكن جذبها
إليه، وعيناه، تتفحصان وجهها.

لقد عدت لأجل إمرأة، ولا يعجبني أن أراها قد هزلت
وشحّبت في غيابي.

إلى حافة طاولة صغيرة:

لقد كنت أنقذ خوسيه.. خوسيه ريكليس، زوج إليان.. إنه غبي.. فقبل أن نسافر مع جدك إلى نيويورك اتصلت بي إليان مذعورة.. فقد خطف خوسيه، وحياته مهددة إذا لم تدفع فدية. وكان على أن اختار بين صحة جدك وراحة بالك وبين ابن خالي. ولم يكن الخيار صعبا. ولكن بعد أن سويت كل الأمور هنا، كان على الذهاب. فهو على كل الأحوال ابن خالي.

ولماذا لم تخبرني؟ لماذا تركتني أعتقد...

ورد معترقاً:

كان هناك بعض الخطر.. واستعادته مخاطرة، فالخاطفون يفضلون الحصول على.. ولم أر حاجة لأن أفلقك.

فشهقت:

تقلقنى! لقد كنت أذبل يومياً!
أرى هذا.

وضاقت عيناه عليها بإشفاقي، وبدأت ترتجف:

بيدرو! كان يمكن أن تتآذى.

ربما، ولكنني قادر على العناية بنفسي. كذلك لدى أصدقاء في الكثير من مجالات حياتي. وهذا لم يتاخر الكشف عن مكان وجود خوسيه. ولقد وضع البوليس العصابة كلها وراء القضبان، ويجب أن أعترف أنني عندما سمعت الطريقة التي أحتاج فيها خوسيه على تأخرنا في إطلاق سراحه وددت لو أتنى أسجنه بنفسي.

وقف ثم تقدم نحوها:

والآن وقد عرفت كل شيء، هل ستشتبئ لي أنك تحبيني؟

أوه.. بيدرو.. سأفعل!

ولفت ذراعيها حول رقبته، فرفعها عن الأرض، وشدتها بين ذراعيه القويتين. وقال مقسماً:

لنفترق ثانية أبداً. بدونك الدنيا كلها فارغة، سأجعلك سعيدة في كل يوم من أيام حياتك.. ولكن لا تتركيني أبداً. فإذا نظرت حولي ولم أراك... سأفقد عقلي.
وقالت واعدة، تضحك وتبكي في آن واحد، وشفتها

الخيار لك. فتركتك دون أن أراك ثانية، لأن هذا أفضل لك.

فهمست له:

ظننتك لن تعود.

أعلم... ولكنني دائمًا كنت أراقبك من بعيد.

وهل كنت تتبعنى؟

واستوت في جلستها لتنظر إليه، عيناها واسعتان
وفيهما بعض الارتباك والانزعاج.. فضحك:

لم أفعل هذا. فلست أملك مثل هذه الجرأة.. وما كنت
أنجح في دور جاسوس.. كنت سأمسك بك، لا أن أبقى
صامتاً وراءك. لا.. فمكتبى كان يراقبك دوماً.

ولكن هذا أمر خسيس يا بيدرو!

لا.. يا حبي.. فكيف لي أن أعرف أخبارك، وأن أتأكد
أنك لم تتعلى بغيري. على كل لم الأحقك طوال خمس
سنوات، ولكن لفترة جعلتني أتأكد أنك استعدت عافيتك..
ولم .. تواجهى أية مصاعب.
وبعدها نسيتني.

طبعاً قابلات سعيدة على وجهه.

ساكون دائمًا موجودة معك..

فيما بعد، وهي مستكينة بين ذراعيه، وأصابعها
تحسس خطوط وجهه القوى الوسيم نظرت إليه وسألته:

لماذا تركتني أول مرة؟

لأنني أتيت إلى الكلية ورأيتك يا حبيبتي، كنت قد
حصلت على جائزة الفنون الكبرى التي تكلمت بشغف
عنها.. وكانت تتقدرين حيوية من السعادة، وأحسست بالشك
لأول مرة في حياتي. هل بإمكان كل حبي، كل ثرائي، أن
يعطيك مثل هذه السعادة؟ فحتى في ذلك الوقت كنت فنانة
لا معة، ذات موهبة لا يمكن لها إلا أن تتألق. ولكنني لم
أكن واثقاً أن موهبتك ستنمو وأنت معي، فجياتي مسيرة
حسب عملي، بالألتزام للعديد من الناس.. بينما أنت..
أنت كنت تسيرين فوق الريح. كنت صغيرة، وحياتك كلها
 أمامك، وأعطيتك الوقت لتفكيرى، لتعيدى النظر فى أى
طريق ستسلكين.. وعلمت يومها أننى لو أنتظرتكم لأنكم
معك، فستأتين إلى لبكى على كتفى، ولن يكون هذا هو

واستند إلى مرفقه لينظر إليها.
على كل.. لقد رأيتك بعدها، ففي السنة التي تلت أتيت
إني نيويورك، وانتظرت خارج الكلية على أمل رؤيتك.
ورأيتك. أتيت سائرة عبر الشارع وكأنك لا تحملين أي هم
من هموم الدنيا، وكان معك شاب، شاب من مثل عمرك.
وتركت عند مدخل الكلية وقبلك مودعاً.. وبدوت لي سعيدة.
لذا لم أخرج من سيارتي. ومازالت أنتظرك.. والآن يبدو أنك
ناجحة تماماً بدوني.

فتهنمت بأسف:
لوأني رأيتك!
ولماذا؟ عندها ما كنت عرفت معنى شق طريقك
بنفسك. على كل الأحوال كنت قد تركتني، ولا كنت رغبت
في الحديث معى.

فقالت معرفة:

كنت قد تذلت كثيراً.. وكانت سأصرخ في وجهك ولكن
صرخت في وجهي. ولكان الجميع عرف بأمرنا. ولكننا
تزوجنا منذ زمن بعيد.

بعدها انتظرت. وذهبت إلى كاراكو لأعيش هناك..
وكنت أمل أن تأتي، ولكنك لم تفعلي. ولكنني كنت أعرف
أنك ستأتي يوماً. وعندما اشتريت المنزل من جدك،
حصلت على مكان للراحة، لأحلم بك، مكان لأنظر فيه.

ولنفرض أنتي لم أذهب إلى كاراكو؟
ليس لدى صبر لا ينفذ. فلو لم تأت لأنني وراءك أصيدهك!
وشد على أسنانه مكشراً، مما جعلها تشهد فرعاً، فضحك:
ولتكن أتيت يا حبيبتي، وكانت كما أنت، دافئة كأشعة
الشمس، حافية القدمين، وعيناك الخضراء بلون البحر
المتقلب، وكانت هذه النهاية لك، يا قططى الصغيرة.
وهل كنت ترغب بي طوال كل هذه السنين، حتى وانت
لا تراني؟

لقد كان لدى صورة لك. علقتها في غرفة نومي منذ أن
سكنت الجزيرة. وهي أول ما أراه صباح كل يوم وأخر ما
أراه قبل أن أنام. وسترينه عندما تزامن في الغرفة في
المنزل، في الجزيرة.. معى.

لقد استأجرت منزلاً لا يبعد عن هنا كثيراً. لقد دبره لي
الرجل الذي اشتري الملابس. واليوم ذهبت لأرى المنزل.
إنه جميل.

واحتجت لوسى قائلة:
وماذا سيقول الناس؟

فليقولوا ما يشائون.. شرط أن لا أسمعه. ولكننا لن
نقول لك... فعقليته كاريبيّة، ولا أريد أن أකدره.

وقالت له متذاكية:
إنه أميركي من أصل اسكتلندي.. فلا تحاول أن
تسرقه مني!

ساقتنع بسرقتك أنت يا حبى.. هل أنت نادمة يا لوسى؟
اووه.. لا يا بيورو، فأى فخ تتصبه لي سأسيير إليه وأنا
سعيدة، فما أريده هو أن أكون معك.. وأنت تقرأ ما في
قلبي كما أعتقد.

وأنت تقرأين ما في قلبي.. وهكذا كان الأمر دوماً.
وستكونين حرّة في اتباع رغباتك. ولكننا لن تكوني أحراراً

آه.. كنت إذن متشوقة للزواج مني؟ وماذا عن ذلك
الولد...؟ لم يbedo عليك أنك قاسيت كثيراً.

وأحسست بسعادة مجنونة لأنه غار. فتحركت إلى مابين
ذراعيه. وهمست:

لقد حاولت أن أنساك.
فسألها بصوت أحش:
وهل نسيتني؟

لا.. لقد استمررت في احتلال تفكيري.. وقررت أن
أكرس نفسي لعملي... ولم يbedo لي أى رجل بمثل
مقاييسك، متى نستطيع الزواج؟

لقد قيل لي أن تأخير بضعة أيام أمر ضروري.. فهل
تظنين أن أملك يمكن أن تنظم كل شيء في فترة قصيرة كهذه؟
فردت ضاحكة:

أنا واثقة من قدرتها. وكذلك أنا. ويمكن لأمني أن
تجلس وتصفق.

لقد اتفقنا إذن، وفي هذه الأثناء.. ستسكيني معي..

أبداً في الابتعاد عن بعضنا.

وقالت له هامسة وهي ترتجف:

لن أرغب أبداً أن أبتعد عنك.

وأحسست أنها كانت ضائعة وعادت إلى بيتها، إلى الأمان والهدوء. إلى الفرح والسعادة.. ولا شيء غير هذا يهم. وامتلأت بالحيوية والنشاط أكثر مما أحسست بهما منذ سنوات.

سأعود إلى عملى!

فضحك بنعومة وشفتيه على شعرها:

ليس الآن يا حبيبي!

أعطتني قليلاً من الوقت لأتعود على طرفة الغريبة في الحياة، وفيما بعد، إذا كنت تذكرين، لدى خطط أخرى لك.

وتذكرت... تذكريت كلماته على الشاطئ.. وأحسست بالحرارة تتتصاعد إلى وجنتيها..

وكان هناك إبتسامة على شفتيها.. عندما سعي إليهما.